# الجزء الأول

# المشكلة الأخلاقية
# لتراث الكتاب المقدس عن الأرض

obeikan.com

obeikan.com

# الفصل الأول

# تراث الكتاب المقدس عن الأرض

وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان، التى نزلت فيها غريبًا، مُلكًا أبديّا. وأكون لهم إلهًا.

وقال الرب لإبراهيم: «أما أنت فاحفظ عهدى، أنت وذريتك من بعدك مدى أجيالهم. وهذا هو عهدى الذى بينى وبينك وبين ذريتك من بعدك الذى عليكم أن تحفظوه: أن يُختتن كل ذكر منكم، تختتنون رأس قلفة غرلتكم فتكون علامة العهد الذى بينى وبينكم، تختتنون على مدى أجيالكم، كل ذكر فيكم ابن ثمانية أيام سواء كان المولود من ذريتك أم كان ابنًا لغريب مُشتَرى بمالك ممن ليس من نسلك. فعلى كل وليد سواء ولد فى بيتك أم اشتُرى بمال أن يُختن، فيكون عهدى فى لحمكم عهدًا أبديّا. أما الذكر الأغلف الذى لم يختن، يُستأصل من بين قومه لأنه نكث عهدى».

[التكوين ١٧ : ٨ - ١٤]



obeikan.com

obeikan.com

## تراث الكتاب المقدس عن الأرض

سأركز فى هذا الفصل على نصوص الكتاب المقدس التى تتناول موضوع الأرض، خاصة نصوص أسفار التكوين والخروج و اللاويين والعدد والتثنية، وأخيراً يشوع. وحتى يتم تسهيل القراءة، سأتعرض للتحاليل النقدية لهذه النصوص فيما بعد، إلا أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار بعض الملاحظات الأولية. أولها أن الكتاب المقدس، مثله مثل أى إبداع أدبى، يعكس نطاقًا واسعًا من أشكال الأدب والمضامين. كما أن الذين يرجعون للكتاب المقدس لا يفسرون مضمونه، ولا يرون مرجعيته، بالطريقة نفسها. وللعهد الجديد مكانة خاصة لدى المسيحيين، ويسمون الكتابات العبرية العهد القديم. أما اليهود، فيستعملون كلمة «تناخ»[1] للتعبير عن العهد القديم وأسفاره. وتعترف الكنائس المسيحية و الجماعة اليهودية بالأسفار التسعة والثلاثين التى تشكل العهد القديم من النصوص المقدسة، رغم أن هناك مستويات مختلفة لمرجعيتها فى تراثها المتنوع[2]. ومنذ العصور الأولى للكتاب المقدس، تم الاعتراف بوحدة التوراة. وهناك ما يؤدى للقول بأن الجزأين الآخرين منبثقان منها: هناك «نبييم»، أى أسفار الأنبياء، الأوائل والأواخر، والتى تتناول بشكل خاص دعوة الناس للرجوع إلى التوراة؛ أما كتب «كتوبيم» فتوضح كيفية تطبيق التوراة فى الحياة اليومية، وتم تدريجيًا اعتبارها من النصوص المقدسة بجانب التوراة، مما سيجعل لها بعض المرجعية القانونية (شورير ١٩٧٩ - ٣١٦)[3].

(١) «بالنسبة لليهود، الكتاب المقدس هو التوراة. وهو تعليمات إلهية جاءت بطريق الوحى لإسرائيل» (شورير ١٩٧٩ : ٣٢١). وبالرغم من أن التوراة تعنى على وجه التحديد أسفار موسى الخمسة، إلا أن المصطلح صار أوسع ليشمل كل الكتابات العبرية.

(٢) على سبيل المثال، عند اليهود، التوراة لها الأهمية الأعلى، وعند المسيحيين كتب الأنبياء لها الشعبية الأعلى.

(٣) فى عدة أماكن من العهد الجديد نجد هذه التسمية المزدوجة: القانون و الرسل( فى متى ٥ : ١٧، و لوقا ٢٤ : ٢٧، و يوحنا ١ : ٤٦، و فى أعمال الرسل ١٣ : ١٥، وفى الرسالة إلى مؤمنى روما ٣ : ٢١) ولا توجد الثلاثية : قانون موسى و الرسل والمزامير إلا فى لوقا ٢٤ : ٤٤ .

وفيما بعد اتخذ مجموع هذه النصوص مستوى الكتابات المقدسة. وعلى الرغم من أن أصل أسفار الأنبياء والكتب غير معروف، نجد أول شهادة فى إلحاقها بالتوراة فى مقدمة كتاب دوَّنه يسوع بن سيرة فى القرن الثانى قبل الميلاد. احتلت التوراة دائمًا المكانة الأعلى: «ففيها تم كتابيًا، وبالكامل، الوحى الأصلى لإسرائيل. أما الأنبياء والكتب الأخرى «كتوبيم» فهى فقط تنقل الرسالة، ولهذا يتم وصفها بأنها التقليد (التراث)» (شورير ١٩٧٩ : ٣١٩)، و بالتالى فإنه من الطبيعى التركيز على التوراة فى دراستنا هذه عن أرض كنعان.

لا يوجد فى الكتاب المقدس وجهة نظر واحدة ومتناسقة فيما يتعلق بمسألة «الأرض» بل رؤى مختلفة وفقًا لكل فترة. ومن المستحيل دراسة هذا الموضوع بشكل شامل. تكتسب الطريقة التى استقر بها أبناء إسرائيل على أرض كنعان أهمية أكاديميةً واضحة؛ فقد أفرزت وتفرز إلى اليوم عواقب وخيمة لها جذورها فى الماضى ونتائجها فى الحاضر. من ضمن هذه النتائج يجب الإشارة إلى مفهومنا عن الله وعلاقته بشعب إسرائيل، بل وأيضًا بشعوب أخرى مثل الكنعانيين وبجميع الشعوب الأخرى. وهنا تثار مجموعة من الأسئلة، منها: كيف يجب أن نقرأ الكتاب المقدس؟ وما هى أهمية المعنى الذى نكشفه بتفسير النص؟ وهل يجب قراءته على أنه نص إبداعى متناسق ونهائى من عمل كاتب واحد فى زمن واحد؟ أو بالعكس يجب الأخذ بعين الاعتبار الوقت الطويل الذى تم فيه كتابته؟ و ما هو موقف القارئ أمام النص؟ وأى مرجعية يحيلها القارئ للنص ولتفسيره؟ و هل يعتبر القارئ أن الكتاب المقدس هو «كلمة الله» التى تستحق كل الاحترام الذى نعطيه لأصل نعتبره إلهيًا؟ سأجيب عن هذه الأسئلة فيما بعد. أما فى هذا الفصل فسأعرض بشكل خاص بعض مظاهر مفهوم «الأرض» فى الكتاب المقدس بدون تعليق على طريقة الكتابة، وسأهتم فقط بالنصوص كما هى. وسأحلل فيما بعد ما قد توحى به طريقة الكتابة.

## الأرض فى التوراة

### سفر التكوين

قدم (سفر التكوين) فى إصحاحه الأول، عرضه عن أصل تكوين العالم والحيوانات و البشر، بينما يتناول فى آياته ١١ : ٢٧ إلى ٥٠ : ٢٦ أصل شعب إسرائيل منذ

الأسلاف إبراهيم و سارة حتى موت يعقوب ويوسف فى مصر. وسأهتم هنا بتعريف مكانة الأرض وتحديدها فى العلاقة بين الرب و الشعب. وتدعم قوة النصوص العبرية الإيمان بالوعد الذى أعطاه الرب لإبراهيم وذريته لتملك أرض كنعان، والاعتقاد التام بأن استعمار هذه الأرض ما هو إلا تطبيق لإرادته:

**فشرع أبرام يتنقل فى الأرض إلى أن بلغ موضع شكيم إلى سهل مُورَةَ. وكان الكنعانيون آنئذ يقطنون تلك الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال له: «سأعطى هذه الأرض لذريتك» (التكوين ١٢: ٦ - ٧).**

غادر أبرام البلد بسبب المجاعة وذهب ليقضى بعض الوقت فى مصر. بعد خروجه من مصر (التكوين ١٢: ٢٠) رجع مع زوجته إلى منطقة بيت إيل. وبما أن الأرض كانت صغيرة بحيث لا تكفى لإعالة إبراهيم ولوط، قامت نزاعات بينهما (التكوين ١٣: ٥ - ٦). وأضاف الكاتب: «فى الوقت الذى كان فيه الكنعانيون والفرزيون يقيمون فى الأرض» (التكوين ١٣: ٧). وعلى الرغم من ذلك تقاسم أبرام ولوط الأرض؛ واختار لوط حوض الأردن واستقر أبرام على أرض كنعان. وبعد هذا الاتفاق «الأرض مقابل السلام»، قال الرب لأبرام:

**ارفع عينيك وتلفت حولك من الموضع الذى أنت فيه، شمالاً وجنوبًا، شرقًا وغربًا، فإن هذه الأرض التى تراها، سأعطيها لك و لذريتك إلى الأبد. وسأجعل نسلك كتراب الأرض، فإن استطاع أحد أن يحصى تراب الأرض يقدر آنئذ أن يحصى نسلك. قم وامش فى طول الأرض وعرضها لأنى لك أعطيها (التكوين ١٣: ١٤- ١٧).**

إذن بالمباركة الإلهية، نصب أبرام خيامه فى سهل مَمْرَا فى حبرون، حيث شيَّد للرب مذبحًا (التكوين ١٣: ١٨). وعقد الله ميثاقًا مع أبرام/ إبراهيم قائلاً:

**سأعطى نسلك هذه الأرض من وادى العريش إلى النهر الكبير، نهر الفرات. أرض القينيين، والقنزيين، والقدمونيين، و الحثيين، والفرزيين، والرفائيين، والأموريين، والكنعانيين، والجرجاشيين، واليبوسيين (التكوين ١٥: ١٨ - ٢١). ولن تُسمَّى بعد الآن أبرام [ومعناه الأب الرفيع] بل يكون اسمك إبراهيم**

**[ومعناه أب لجمهور] لأنى أجعلك أبًا لجمهور من الأمم؛ وأصيِّرك مثمرًا جدًا، وأجعل أممًا تتفرع منك، ويخرج من نسلك ملوك. و أقيم عهدى الأبدى بَيْنى وبينك، وبين نسلك من بعدك جيلاً بعد جيل، فأكون إلهًا لك و لنسلك مِن بعدك. وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان، التى نزلتَ فيها غريبًا، مُلْكًا أبديًا. وأكون لهم إلهًا (التكوين ١٧ : ٥-٨).**

وتجدد بعد ذلك الوعد مع إسحاق (التكوين ٢٦ : ٣-٤). ولضمان الإرث، دعا إسحاق الله أن يكمل الوعد ليعقوب (التكوين ٢٨ : ٤). وبينما كان يعقوب نائمًا قرب حاران سمع الوعد ذاته (التكوين ٢٨ : ١٣- ١٥) وعندما ظهر الرب ليعقوب مرة ثانية غيَّر اسمه إلى إسرائيل؛ ووعده مرة أخرى بهذه الأرض (التكوين ٣٥ : ١٢) وفى الآيات الأخيرة لسفر التكوين، قال يوسف لإخوته:

**«أنا موشك على الموت، ولكن الله سيفتقدكم ويخرجكم من هذه الأرض ويردكم إلى الأرض التى وعد بها بقسم لإبراهيم وإسحاق ويعقوب (التكوين ٥٠ : ٢٤).**

## سفر الخروج

كما يتجلى فى العنوان، فإن الموضوع الأساسى لهذا الكتاب هو الخروج من مصر (الخروج ١ : ١ - ١٥ : ٢١). إلا أن الأحداث التى جرت بين الخروج من مصر والاستقرار فى كنعان مهمةٌ جدًا، حيث تم اللقاء الفريد من نوعه بين يهوه وموسى فى جبل سيناء (الخروج ١٩ : ١- ٤٠ : ٣٨) الذى كلم الله عليه موسى بينما بقى الناس حيث أمر يهوه موسى (الخروج ١٩ : ٢)، ومنح يهوه لموسى وشعبه كل ما يحتاجه شعب فى مرحلة انتقال، فقد أعطاه قائدًا وهوية ووعدًا بمكان يستقر فيه. أكد الله دور موسى كقائد للشعب، كما وضع لهم قانونًا وأعلن عن الوصايا العشر، وأرسل الشعب إلى بلاد كنعان. كان لمضمون هذا الكتاب أثر بالغ على كتبة الكتاب المقدس، وأصبحت أهمية هذه القصة ذات تأثير حاسم فى كل من الفكر اليهودى والمسيحى. حيث أصبح رمزًا لمجتمع يَهْوَهْ (الله) الذى أنقذه يهوه من العبودية فى أرض أجنبية، وقاده إلى أرض الوعد. وأظهر موسى ذلك عندما سمى ابنه جرْشوم، ومعناها غريب، وقال: «كنت نزيلاً فى أرض غريبة» (الخروج ٢ : ٢٢). وبينما كان بنو

إسرائيل يعانون من وطأة العبودية، سمع الرب أنينهم وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب (الخروج ٢ : ٢٤) وقرر أن ينقذ هذا الشعب من مصر :

**فنزلت لأنقذهم من يد المصريين وأخرجهم من تلك الأرض إلى أرض طيبة رحيبة تفيض لبنًا وعسلاً، أرض الكنعانيين و الحثيين و الأموريين والفرزيين والحوِّيين واليبوسيين (الخروج ٣ : ٨).**

ويتلقى موسى أمرًا بحمل رسالة تحرير لشعبه (الخروج ٣ : ١٧)حيث أكد يهوه على لسان موسى عهده مع بنى إسرائيل حيث قال :

**أنا هو الرب. قد ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلهًا قديرًا على كل شيء. أما اسمى يَهْوَه فلم أعلنه لهم. وقد أبرمت معهم ميثاقى بأن أهَبَهُمْ أرض كنعان حيث أقاموا فيها كغرباء (الخروج ٦ : ٢ – ٤).**

كان يجب على موسى أن يقنع شعبه بأن الرب «يهوه» سيحررهم من وطأة المصريين وسيجعلهم شعبه المختار، وأنه سيكون إلههم وسيقودهم إلى هذه الأرض التى وعد بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب (الخروج ٦ : ٦– ٨). وأثناء مفاوضات موسى وهارون مع فرعون، ركز موسى على هذا المطلب «أطلق سراح شعبى» دون أن يذكر التوجه أو الهدف من ذلك ؛ إلا تقديم تضحيات للرب وعبادته (الخروج ٧ : ١٤، ٨ : ١، ٨: ٢٠ ، ٩ : ١٣، ١٠ : ٣). وتظهر فكرة أرض الوعد أيضًا فى الاحتفال بعيد الفصح (١٢ : ٢٤–٢٥).

وبعد أن قضى بنو إسرائيل ٤٣٠ عامًا فى مصر(*)، ارتحلوا من رعمسيس إلى سكوت، حيث بلغ عددهم ٦٠٠٠٠٠ رجل باستثناء الأطفال (الخروج ١٢ : ٣٧– ٤٠). إن طقوس الاحتفال بعيد الفصح ما هى إلا طقوس الاحتفال بالاستقرار فى هذا الوطن(الخروج ١٢ : ٨).

(*) طبقًا للكتاب المقدس، خرجوا بعد أربعة أجيال، لأنه ـ طبقًا للكتاب المقدس ـ تزوج عمرام من عمته بوكابد، فأنجبا موسى (الخروج ٦ : ٢٠)، وعمرام هو بن قهات بن لاوى بن يعقوب (الخروج ٦ : ١٤ – ١٨) وكانوا سبعين عند هجرتهم لمصر ـ المترجمة.

**لذلك عندما يُدخلكم الرب أرض الكنعانيين و الحثيين و الأموريين والحوِّيين واليبوسيين، التى تفيض لبنًا وعسلاً، والتى أقسم لآبائكم أن يهبكم إياها، تمارسون هذه الفريضة فى هذا الشهر . سبعة أيام لا تأكلون فيها خبزًا مختمرًا، وفى اليوم السابع يكون احتفال للرب (الخروج ١٣ : ٥ - ٦).**

هذا كما تم تكرار الإشارة إلى هبة الأرض فى موضع آخر(الخروج ١٣ : ١١-١٢).

وبدأ خروج موسى وشعبه. ووصفت ترنيمة موسى التى أنشدها بعد أن عبر البحر الأحمر الرعب الذى أصاب أهل فلسطين وملوك أدوم وموآب وكل سكان كنعان بسبب هلاك المصريين (الخروج ١٥ : ١ - ١٦). وفى النهاية استقر بنو إسرائيل (الخروج ١٥ : ١٧ - ١٩). وخلال التيه ،اقتات الإسرائيليون بالمن طوال أربعين سنة حتى وصلوا إلى حدود أرض كنعان (الخروج ١٦ : ٣٥). ولكن شهدوا نزاعات مع العمالقة؛ وانتصر يشوع والشعب عليهم بالسيف فى رفيديم (الخروج ١٧ : ٨ - ١٦). وفى سيناء، وعد يهوه أن يجعلهم شعبه الخاص إذا أطاعوا أوامره (الخروج ١٩ : ٣ - ٨). ويذكر الإصحاح العشرون من سفر الخروج كلمات يهوه لموسى، بينما يعرض الإصحاحان ٢١ و ٢٣ أوامر الرب، لاسيما تلك التى تناسب شعبًا استقر بالفعل حيث يقول:

**إذ يسير ملاكى أمامك حتى يُدخلك بلاد الأموريين و الحثيين و الفرزيين والكنعانيين والحويين و اليبوسيين الذين أنا أبيدهم؛ إياك أن تسجد لآلهتهم، ولا تعبدها، ولا تعمل أعمالهم، بل تبيدهم وتحطم أنصابهم (الخروج ٢٣ : ٢٣-٢٤).**

وسيكون حتمًا ربهم المحارب فى صفهم:

**وأجعل هيبتى تتقدَّمك، أزعِجُ كل أمة تقف فى وجهك، وأجعل أعداءك يولون الأدبار أمامك. وأبعث الزنابير أمامك، فتطرد الحوِّيين و الكنعانيين و الحثيين من قدامك، إنما لن أطردهم فى سنة واحدة لئلا تقفر الأرض فتتكاثر عليك وحوش البرية، بل أطردهم تدريجيًا من أمامك ريثما تَنْمون وترثون البلاد. وأجعل تخومك تمتد من البحر الأحمر إلى ساحل فلسطين، ومن البرية حتى نهر الفرات، وأخْضِع لك سكان الأرض فتطردهم من أمامك. لا تبرم معهم ولا مع آلهتهم**

**ميثاقًا، ولا تسكنهم فى أرضك لئلا يجعلوك تخطئ إلىَّ، لأنك إن عبدت آلهتهم، فإن ذلك يكون لك فخًا (الخروج ٢٣ : ٢٧ - ٣٣).**

وعلى الرغم من الأمر الإلهى بإعمال الذبح الجماعى فى السكان الأصليين، نجد هذا الأمر بعدم قمع الأجنبى (الخروج ٢٢ : ٢١، ٢٣ : ٩). وعندما تأخر موسى على جبل سيناء، قدموا أضحيات للعجل الذهبى (الخروج ٣٢ : ١٩-٢١). وفى حالة غضب، كسر موسى لوحى الشهادة(*)، ودمر العجل. و قد أمر اللاويين أن يثبتوا ولاءهم واتباعهم للرب بقتل ٣٠٠٠ عضو من الشعب (الخروج ٣٢ : ٢٦-٣٠). وعند قدوم وقت الارتحال:

**قال الرب لموسى: «اترك هذا المكان أنت والشعب الذى أصعدته من ديار مصر، وامض إلى الأرض التى أقسمتُ لإبراهيم وإسحاق و يعقوب قائلاً: سأهبها لنسلك. و سأرسل أمامك مَلاَكًا، وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيِّين والحوِّيين واليبوسيين، إنها أرض تفيض لبنًا وعسلاً. أما أنا فلن أسير فى وسطكم لأنكم شعب متصلب القلب لئلا أفنيكم فى الطريق» (الخروج ٣٣ : ١ ـ ٣).**

واستبدل يهوه باللوحين الأوَّلين لوحين آخرين لموسى (الخروج ٣٤ : ١ -٥). وعندما ظهر الرب لموسى، طلب موسى من الرب العفو باسم الشعب (الخروج ٣٤ : ٨- ٩). ووعد يهوه أن يقوم بمعجزات للشعب وأمرهم أن يخلصوا له كل الإخلاص؛ كما أمر بالانفصال عن الشعوب الأخرى:

**ولكن أطع ما أوصيتك اليوم به، ها أنا طارد من أمامك الأموريين و الكنعانيين والحثيين و الفرزيين والحويين و اليبوسيين. إياك أن تعقد معاهدة مع سكان الأرض التى أنت ماض إليها لئلا يكُونوا شَركًا لكم. بل اهدموا مذابحهم، واكسروا أنصابهم، واقطعوا أشجارهم المقدسة. إياكم أن تعبدوا إلهًا آخر غيرى، لأن الرب اسمه غيور جدًا. إياكم أن تعقدوا معاهدة مع سكان الأرض، لأنهم حين يعبدون آلهتهم مشركين ويذبحون لهم، يدعونكم فتأكلون من ذبيحتهم (الخروج ٣٤ : ١٥- ١١).**

(*) اللذين عليهما الوصايا العشر، طبقًا للكتاب المقدس ـ المترجمة.

ومن المحظور على بنى إسرائيل أن يتزوجوا من أجنبيات أو أن يصنعوا آلهة مسبوكة ؛ كما يجب أن يحتفلوا بالأعياد (الخروج ٣٤ : ١٦-٢٣). وقدتم الإشارة مرة أخرى إلى العناية الإلهية : «ها أنا أطرد الأمم من أمامكم ، وأوسع حدودكم، ولن يطمع أحد فى أرضكم حين تصعدون للمثول أمام الرب إلهكم ثلاث مرات فى السنة» (الخروج ٣٤ : ٢٤). وتلقى موسى الأمر بكتابة هذه الكلمات «دَوِّنْ هذه الكلمات؛ فبها أبرمت معك ومع إسرائيل ميثاقًا» (الخروج ٣٤ : ٢٧ - ٢٨). وعندما نزل موسى من جبل سيناء، نقل كل الأوامر التى تلقاها من يهوه (الخروج ٣٤ : ٣٢). وينتهى سفر الخروج بوصف اكتمال بناء مسكن يهوه (الإصحاحات ٣٥ - ٤٠).

**سفر اللاويين**

ويتناول هذا الكتاب المخصص للاويين الشعائر الدينية ؛ كما يحدد كل ما يضمن قداسة كل مظاهر الحياة. و يستكمل هذا السفر إصحاحات سفر الخروج من الإصحاح ٢٥ إلى الإصحاح ٤٠ ؛ ويستمر موضوعه الأساسى فى سفر العدد. ويحدد كتاب اللاويين (الإصحاحات من ١ إلى ٧ ) التشريع بشأن تقديم الذبائح. أما الإصحاحات من ٨ إلى١٠ ، فتتناول مسح هارون وأبنائه بالزيت (التكريس للخدمة الكهنوتية). وأعطى يهوه أمرًا لهارون بالتمييز بين المقدس والمحلل، والنجس والطاهر، حتى يعلم شعب إسرائيل جميع الفرائض التى أمر بها الرب على لسان موسى(اللاويين ١٠ : ٨ -١١) وتأتى بعد ذلك مجموعة من القوانين بشأن الطهر الذى يصل إلى الذروة أو الكفارة، يوم كيبور (الإصحاحات من ١١ إلى ١٦ ، يوم الكفارة فى ٢٣ : ٢٨). أما قانون القداسة فيتطرق إلى الطابع المقدس للدم والجنس والقواعد المختلفة للسلوك والتصرف و العقوبات (اللاويين من ١٧ إلى ٢٠ ). تأتى بعد ذلك الإشارة إلى أوامر عن قداسة الكهنوت والقواعد المتبعة للذبائح ( اللاويين من٢١ إلى ٢٢) ومواسم أعياد الرب (اللاويين ٢٣). وهناك تشريع خاص بالسنة السابعة وسنة اليوبيل(اللاويين ٢٥). أما الإصحاح السادس والعشرون، فيحدد عقوبات العصيان. وأخيرًا يأتى فى الإصحاح السابع والعشرين، الذى يبدو كملحق لقانون القداسة، ذكر النذور المقدمة للمعبد.

وتم فى هذا السفر تكرار الوعد الإلهى بشأن هبة أرض كنعان ( اللاويين ١٤ : ٣٤)؛ كما أمر يهوه الإسرائيليين بضرورة أن يطبقوا أحكامه وليس قوانين المصريين والكنعانيين(١٨ : ١-٥) ولكى يضمن بنو إسرائيل بقاءهم على هذه الأرض يجب أن يحترموا قوانين الطهر(اللاويين ١٨).

وهناك ممنوعات خاصة تتعلق بتقديم الذرية قربانًا للوثن مولك (اللاويين ١٨ : ٢١)، والشذوذ الجنسى (١٨ : ٢٢) ومعاشرة البهيمة (١٨ : ٢٣). وبسبب هذه الأعمال المشينة تَقيَّأت الأرض سكان كنعان، فلا يجب على بنى إسرائيل أن يرتكبوا مثل هذه الرجاسات حتى لا تتقيأهم الأرض؛ كما يجب عليهم المحافظة على شعائر يهوه (اللاويين ١٨ : ٢٤ -٣٠).

و نلاحظ مرة أخرى أن سوء معاملة الأجنبى وظلمه ممنوعان (اللاويين ١٩ : ٣٣ - ٣٤)، كما سيكون مصير من يقدم أحد أبنائه قربانًا للصنم مولك، هو القتل رجمًا بالحجارة (اللاويين٢٠ : ٢)، وكذلك بالنسبة لانتهاكات أخرى (اللاويين ٢٠ : ٩- ٢١)، كما يتم إعادة التذكير بالشروط التى تسمح لهم بالبقاء على هذه الأرض وبالانفصال عن سكان الأرض (اللاويين ٢٠ : ٢٢- ٢٧) وبعد تشريع الأعياد، يتم وصف كيفية التعامل مع الأرض (اللاويين ٢٥ : ٢ - ٣) فنلاحظ وصف السنة السابعة التى ترتاح فيها الأرض وسنة اليوبيل. أما الإصحاح السادس والعشرون، فيصف البركات الناجمة عن الطاعة، ومن بين هذه البركات: خصوبة الأرض و السلام والفوز على الأعداء وكثرة الذرية وضمان وجود الرب معهم (اللاويين ٢٦ : ٣ - ١٣). و فى المقابل، سيتم معاقبة العصيان بعقوبات وآفات كثيرة: الأمراض وتدمير المحاصيل والجفاف وهجوم الحيوانات المتوحشة والأعداء والمجاعة وأكل لحم الأبناء وتدمير المدن والمعابد ( اللاويين ٢٦ : ١١ - ٣٩)، وسيلى ذلك تشتيت الشعب ونفيه:

**وأجعل الأرض قفرًا فيرتاع من وحشتها أعداؤكم الساكنون فيها و أشتتكم بين الشعوب، وأجرد عليكم سيفى، وألاحقكم، وأحول أرضكم إلى قفر ومدنكم إلى خرائب. عندئذ تستوفى الأرض راحة سبوتها طوال سنين وحشتها وأنتم مشتتون فى ديار أعدائكم؛ فتعوض فى أيام وحشتها عن راحتها التى لم تنعم بها فى سنوات سبوتكم عندما كنتم تقيمون عليها. أما الباقون منكم فى أرض**

**أعدائكم، فإنى ألقى الرعب فى قلوبهم فيهربون من حفيف ورقة تسوقها الريح، وكأنهم يهربون من السيف، ويسقطون، ويَعْثُر بعضهم ببعض كمن يفر من أمام سيف من غير طارد لهم، ولا تثبتون أمام أعدائكم فتهلكون بين الشعوب، وتبتلعكم أرض أعدائكم. أما بقيتكم فتفنى بذنوبها وذنوب آبائها فى أرض أعدائكم كما فنى آباؤهم من قبلهم (اللاويين ٢٦ : ٣٢ - ٣٩).**

«ولكن إذا اعترفوا بخطاياهم وخطايا آبائهم وبخيانتهم لى . . . فإنى أذكر ميثاقى مع يعقوب وميثاقى مع إسحق وميثاقى مع إبراهيم . . . . وأذكر الأرض» (اللاويين ٢٦ : ٤٠- ٤٢). وحتى وهم فى أرض أعدائهم، فلن ينبذهم الرب ولن ينقض ميثاقه معهم (اللاويين ٢٦ : ٤٤ - ٤٦).

وينتهى هذا الكتاب بملحق يشرح بالتفصيل طرقًا لفداء نذر [شخص] موهوب للرب (اللاويين ٢٧).

### سفر العدد

يعبر العنوان العبرى لهذا الكتاب عن مضمونه. وتدور أحداثه فى ثلاث مراحل من متاهة بنى إسرائيل فى الصحراء: طريقة تنظيم المجتمع قبل رحيله من سيناء (العدد ١ : ١ -١٠ : ١٠)، و المسيرة فى الصحراء من سيناء حتى سهول موآب ( العدد ١٠ : ١١ -٢١ : ٣٥)، والاستعدادات للدخول إلى أرض الوعد من سهول موآب ( العدد ٢٢ : ١ - ٣٦ : ١٣). وكان عدد الخارجين لا يقل عن ٦٠٣٥٥٠(*) من الرجال البالغين من العمر عشرين سنة فما فوق ( العدد، الإصحاح الأول: ٤٥ - ٤٦) و٨٥٨٠ من اللاويين ( ٤ : ٤٨) وبعد أن تأكدوا من طهارة المخيم والمجتمع (الإصحاحان ٥ - ٦) وممارسة طقوس الرحيل (٧: ١ - ١٠، ١٠) ساروا فى الصحراء على مراحل، وطبقًا للتراث الدينى، كانوا فى طريقهم من سيناء إلى صحراء فاران إلى مشارف أرض الوعد كثيرى النواح والتحسر على تركهم مصر، والحنين لحياتهم فيها (العدد: ١٠ : ١١ - ١٢ : ١٦) (١٣ : ١ - ١٥ : ٤١).

(*) ارجع لهامش صفحة ٢٧ ـ المترجمة.

أفاد الجواسيس الذين أرسلوا لاستكشاف الأرض، أن الناس الذين يعيشون هناك أقوياء، وأن المدن محصنة وكبيرة:

«فالعمالقة مقيمون فى أرض الجنوب، والحثِّيون واليبوسيون والأموريون متمنعون فى الجبل، والكنعانيون مستوطنون عند البحر وعلى محاذاة الأردن» (العدد ١٣ : ٢٩).

وأمام شكاوى الشعب و الاقتراحات القائلة بالتراجع، حثَّ يشوع و كالب الشعب على عدم التمرد على الرب: «الرب معنا فلا ترهبوهم» (العدد ١٤ :٧ – ٩) وبعد مناقشات عديدة وتهديدات، بدأ الشعب فى مسيرته (العدد ١٤ : ٢٥)، وحُرم موسى من أن يقود شعبه من مريبة إلى أرض الميعاد بعد أن ضرب الصخرة بعصاه مرتين فتفجر ماء غزير وشرب الجماعة (العدد ٢٠ : ١٣)، ثم عاقب الرب هارون بشكل قاس بسبب قلة إيمانه حيث أماته على جبل هور (العدد ٢٠ : ٢٢– ٢٩). ثم أخذت الأحداث شكلاً عنيفًا عندما قبض ملك عراد على بعض من بنى إسرائيل:

فنذر الإسرائيليون للرب نذرًا قائلين: «إن أظفرتنا بهؤلاء القوم، لَنُحَرِّمَنَّ(*) مدنهم». فاستجاب الرب لهم، وأظفرهم بالكنعانيين، فأهلكوهم هم ومدنهم، فسُمِّىَ المكان «حُرْمَة» (العدد ٢١ : ٢–٣).

وعندما رفض سيحون ملك الأموريين للإسرائيليين طلبهم بالمرور فى تخومه، هاجمه الإسرائيليون وهزموه بحد السيف واستولوا على بلاده (العدد ٢١ : ٢١ – ٢٤). ولقىَ عوج ملك باشان نفس المصير. و خوفًا من بنى إسرائيل، استُدْعىَ بالاق ملك موآب، إلى بلعام ليلعن بنى إسرائيل إلا أنه على العكس باركهم (العدد ٢٢ : ٢٤). ورغم ذلك ارتكب الإسرائيليون الزنى مع الموآبيات وعبدوا بعل فغور. فحل غضب الرب على بنى إسرائيل (٢٥ : ١–٣). إلا أن فِينْحَاس رد غضبه عنهم بقتل عابدين من عبدة بعل فغور وهما رجل إسرائيلى وامرأة مَديانية؛ فكافأه الله بأن عقد معه ميثاق سلام (العدد ٢٥ : ١٢).

(*) أى نستبيح القتل والتدمير ـ المترجمة.

ثم قال الرب لموسى: «أسيئوا معاملة المديانيين وأهلكوهم لأنهم ضايقوكم بمكايدهم التى احتالوا بها عليكم بشأن فغور» (٢٥: ١٦ - ١٧).

وسمح الله لموسى بلمح الأرض التى لن يدخلها؛ واختار يهوه يشوع ليخلف موسى (العدد: الإصحاح ٢٧). وينقلنا الإصحاح الواحد والثلاثون إلى قصة الحرب على المديانيين. بعد أن قتل بنو إسرائيل كل الرجال، قتلوا أيضًا ملوك مديان الخمسة بالإضافة إلى ملك بلعام، وقبضوا على نسائهم وأطفالهم وسرقوا مواشيهم وحرقوا مدنهم ومخيماتهم، واستولوا على كل الغنائم والأسلاب ممن بقى على قيد الحياة من الناس والحيوان؛ فأبدى موسى سخطه لأنهم تركوا النساء على قيد الحياة، وهن اللواتى أغوينهم لعبادة فغور وأمر بقتل كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة ضاجعت رجلاً. وكان لهم الحق فى استحياء كل عذراء لم تضاجع رجلاً، ثم تفرغوا بعد ذلك للأمور الأكثر جدية، بتطهير أنفسهم وملابسهم وتم تقسيم الغنائم، حيث خُصص جزءٌ منها ليهوه(*).

(*) تحت عنوان القضاء على المديانيين جاء ما يلى: قال الرب لموسى: «انتقم من المديانيين لبنى إسرائيل، وبعدها تموت وتنضم إلى قومك». فقال موسى للشعب: «جهزوا منكم رجالاً مجندين لمحاربة المديانيين والانتقام للرب منهم. أرسلوا للحرب ألفًا واحدًا من كل سبط من أسباط إسرائيل». فتم اختيار ألف من كل سبط، فكانوا اثنى عشر ألفًا من بين ألوف إسرائيل مجردين للقتال. فأرسلهم موسى، ألفًا من كل سبط، للحرب بقيادة فينحاس بن ألعازار الكاهن، الذى أخذ معه أمتعة القدس وأبواق الهتاف. فحاربوا المديانيين كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر، وقتلوا معهم ملوكهم الخمسة: أوى وراقم وصور وحور ورابع، كما قتلوا بلعام بن بعور بحد السيف. وأسر بنو إسرائيل نساء المديانيين وأطفالهم، وغنموا جميع بهائمهم ومواشيهم وسائر أملاكهم، وأحرقوا مدنهم كلها بمساكنها وحصونها، واستولوا على كل الغنائم والأسلاب من الناس والحيوان، ورجعوا إلى موسى وألعازار الكاهن وجماعة إسرائيل بالسبى والأسلاب والغنيمة إلى المخيم فى سهول موآب بالقرب من نهر الأردن مقابل أريحا. (٣١: ١-١٢).

أما تحت عنوان تطهير المحاربين وقتل النساء الأسيرات: فقد خرج موسى وألعازار وكل قادة إسرائيل لاستقبالهم إلى خارج المخيم، فأبدى موسى سخطه على قادة الجيش من رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من الحرب، وقال لهم: «لماذا استحييتم النساء؟ إنهن باتباعهن نصيحة بلعام أغوين بنى إسرائيل لعبادة فغور، وكن سبب خيانة للرب، فتفشى الوباء فى جماعة الرب. =

ويقص الإصحاح الثانى والثلاثون رغبة أبناء رأوبين وجاد فى الاستقرار فى شرق الأردن بدلاً من عبور نهر الأردن مع الآخرين؛ إلا أن موسى أصر على أن يحملوا السلاح وأن يعبروا النهر أمام يهوه، حتى يقضوا على الأعداء، وأن يُخضعوا الأرض، وبعد ذلك قد يستطيعون الرجوع واحتلال شرق الأردن (العدد ٣٢ : ٦-٢٣) ووافقوا على ذلك. وأعطاهم موسى مملكة سيحون ـ ملك الأموريين ـ ومملكة عُوج ـ ملك باشان:

**وقال الرب لموسى فى سهول موآب بالقرب من نهر الأردن مقابل أريحا، أوص بنى إسرائيل وقل لهم: إنكم لا بد عابرون نهر الأردن نحو أرض كنعان، فاطردوا جميع أهل الأرض أمامكم، ودمروا تماثيلهم المنحوتة، وأبيدوا أصنامهم المسبوكة، واهدموا كل مرتفعاتهم. واملكوا الأرض و استوطنوا فيها، لأننى قد وهبتكم الأرض لكى ترثوها. اقتسموا الأرض بالقرعة حسب أسباطكم، فالسبط الكبير يأخذ نصيبًا أكبر، والسبط الصغير ينال نصيبًا أقل. وكلٌّ يقيم حيث يخرج له بالقرعة، واقتسموا الأرض حسب أسباطكم. ولكن إن لم تطردوا أهل الأرض من أمامكم، يصبح الباقون منهم أشواكًا فى عيونكم، ومناخس فى جوانبكم، ويضايقوكم فى الأرض التى أنتم مقيمون فيها، عندئذ أنزل بكم ما أنا مزمع أن أنزله بهم (العدد ٣٣ : ٥٠ - ٥٦).**

أما الإصحاحان ٣٥ و ٣٦، فيشرحان كيفية تقسيم الأرض، ويعرضان الجزء المخصص للاويين. وتختم الآية الأخيرة بهذه الكلمات: «هذه هى الوصايا و الشرائع التى أوصى بها الرب بنى إسرائيل على لسان موسى، فى سهول موآب بجوار نهر الأردن مقابل أريحا» (العدد ٣٦ : ١٣).

---

=فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، واقتلوا أيضًا كل امرأة ضاجعت رجلاً، ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً. وأما أنتم فامكثوا خارج المخيم سبعة أيام، وعلى كل من قتل نفسًا، ومن لمس قتيلاً أن يتطهر فى اليوم الثالث. . . . وفى اليوم السابع، افعلوا هذا أنتم وسباياكم. وكذلك طهروا كل ثوب، وكل متاع جلدى، وكل ما هو مصنوع من شعر المعز وكل آنية من خشب». (٣١: ١٣- ٢٠).

## سفر التثنية

هذا الكتاب هو سفر الشرائع، إذ يسعى إلى مواءمة التراث مع ظروف جديدة. وأحد أهم تأكيداته المميزة، علاقة الأرض بالشعب. ويوجه موسى خطابًا طويلاً للشعب (التثنية ١ : ١ - ٤ : ٤٩) ويعطى مقدمة لكتاب الشرائع (التثنية ٥ : ١ - ١١ : ٣٢). تلا ذلك الشرائع (١٢ : ١- ٢٦ : ١٥) وتوصيات أخرى (٢٦ : ١٦ ـ ٢٨ : ٦٨). ويختم هذا الكتاب الوصية الأخيرة (٢٩ : ١ - ٣٠ : ٢٠)، بينما ينتهى السفر بالعهد والشهادة وموت موسى (التثنية ٣١ : ١ - ٣٤ : ١٢).

على الرغم من أنه يتم وصف سفر التثنية بأنه من الكتب الأكثر لاهوتية فى العهد القديم، وأنه يدعو إلى مجتمع مثالى، إذ يدافع عن حقوق الأكثر بؤسًا (الأرملة واليتيم والأجنبى) (لوفينك، ١٩٩٦) إلا أن التناول الذى يقترحه عن مشكلة الأرض وسكانها الأصليين يثير إشكالية أخلاقية.

يستمر الكتاب المقدس فى تكرار وعد الأرض لإبراهيم و إسحاق ويعقوب وذريتهم. وفى موآب يُذكِّر موسى شعبه بالأوامر التى أمر بها الرب فى جبل حوريب : «ادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من وادى العربة والجبل والسهل والنقب وساحل بحر أرض الكنعانيين و لبنان، إلى النهر الكبير نهر الفرات» (التثنية ١ : ٦-٨). ولا يجب على الشعب أن يخاف من المدن المحصنة : «لأن الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم كما رأيتموه معكم فى مصر» (التثنية ١ : ٣٠ -٣١).

وعندما رفض الملك سيحون ـ ملك حشبون ـ عبور بنى إسرائيل، نصرهم يهوه عليه. واستولوا على جميع مدنه وقضوا فى كل مدينة على الرجال والنساء والأطفال «واستولينا على جميع مدنه، وقضينا فى كل مدينة على الرجال والنساء والأطفال، فلم ينج حَىٌّ منهم» (التثنية ٢ : ٣٤). ولم يكن مصير الملك عوج ـ ملك باشان ـ أفضل حالاً «فهزمناه حتى لم ينج منهم حى» (التثنية ٣ : ٣). ولم يكن يشوع خائفًا من المعركة القادمة؛ لأن يهوه يحارب لأجله (التثنية ٣ : ٢٢). واكتفى موسى بالنظر إلى الأرض التى سيحتلها يشوع وهى تقع بعد نهر الأردن (التثنية ٣ : ٢٧ - ٢٩). والدخول إلى الأرض مشروط باحترام القوانين وأوامر الرب (التثنية ٤ : ١- ٨). وإذا

نسى المستعمرون الجدد هذه الأوامر فسيُشَتَّتون فى الأرض (التثنية ٤ : ٢٦ -٢٧). وكرر موسى وصايا يهوه العشر (٥ : ٦ -٢١)، حيث أصر على الدور الأساسى لتطبيق الأوامر؛ ونقرأ بعد الشيما ( شريعة المحبة) ما يلى :

**ومتى أدخلكم الرب إلهكم إلى الأرض التى أقسم لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يهبها لكم، حيث تنتشر مدن عظيمة لم تبنوها، وبيوت عامرة بخيرات لم تخزنوها، وآبار محفورة لم تحفروها، وأشجار كروم وزيتون لم تغرسوها، فأكلتم وشبعتم، فإياكم أن تنسوا الرب إلهكم الذى أطلقكم من عبودية ديار مصر. فالرب إلهكم تتقون، و إياه تعبدون، وباسمه تحلفون. لا تسيروا خلف آلهة أخرى من آلهة الأمم المحيطة بكم، لأن الرب إلهكم إله غيور حالٌّ فى وسطكم، فيحتدم غضبه عليكم ويبيدكم عن وجه الأرض (٦ : ١٠- ١٥ وانظر أيضًا ٦ : ١٨ - ١٩).**

دور يهوه أساسى فى الغزو :

**ومتى أدخلكم الرب إلهكم إلى الأرض التى أنتم ماضون إليها لترثوها، وطرد من أمامكم سبع أمم، أكثر و أعظم منكم، وهم الحثيون والجرجاشيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون. وأسلمهم الرب إليكم وهزمتموهم، فإنكم تحرمونهم. لا تقطعوا لهم عهدًا، ولا ترفُقوا بهم، ولا تصاهروهم. فلا تزوجوا بناتكم من أبنائهم، ولا أبناءكم من بناتهم، إذ يغوون أبناءكم عن عبادتى ليعبدوا آلهة أخرى ، فيحتدم غضب الرب عليكم و يهلككم سريعًا. ولكن هذا ما تفعلونه بهم: اهدموا مذابحهم وحطموا أصنامهم وقطعوا سواريهم و أحرقوا تماثيلهم. لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم. فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص. و لم يفضلكم الرب ويتخيركم لأنكم أكثرُ عددًا من سائر الشعوب. فأنتم أقل الأمم عددًا؛ بل من محبته، وحفاظًا على القسم الذى أقسم به لآبائكم، أخرجكم بقوة فائقة، وفداكم من نير عبودية فرعون ملك مصر. فاعلموا أن الرب إلهكم هو الله، الإله الأمين الوفى بالعهد والإحسان لمحبيه وحافظى وصاياه إلى ألف جيل. وهو يجازى مبغضيه علنًا، فيستأصلهم ولا يتمهل ، بل يسرع فى معاقبة من يبغضه. فأطيعوا**

**الوصايا والفرائض والأحكام التى أوصيكم بها اليوم لتمارسوها (التثنية ٧ : ١ – ١١).**

وبينما هم يستعدون لدخول أرض الوعد، يعطيهم مزيداً من الأوامر:

**استمعوا يا بنى إسرائيل: أنتم على وشك عبور نهر الأردن لتدخلوا لطرد شعوب أكبر وأعظم منكم، وللاستيلاء على مدن عظيمة محصنة بأسوار تبلغ عنان السماء، يقيم فيها العناقيون الجبابرة العمالقة الذين عرفتم عنهم وسمعتم من يقول: «من يستطيع أن يتحدى العناقيين ؟» فاعلموا اليوم أن الرب إلهكم يتقدمكم كنار آكلة، وهو الذى يستأصلهم ويذلهم أمامكم، فتطردونهم وتبيدونهم سريعًا كما كلمكم الرب . لا تقولوا لأنفسكم بعد أن ينفيهم الرب من أمامكم: «لقد أدخلنا الرب لامتلاك هذه الأرض بفضل صلاحنا». إنما من أجل كثرة إثمهم يطردهم الرب إلهكم من أمامكم. إذ ليس بفضل صلاحكم و استقامتكم تدخلون لامتلاك أرضهم، و إنما من أجل إثمهم يطردهم الرب إلهكم من أمامكم وفاءً بوعده الذى أقسم عليه لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب (التثنية ٩ : ١ – ٥) .**

وذكَّرهم موسى بأنهم ارتدوا فى جبل حوريب (التثنية ٩ : ٨ – ٢٩) ودعا شعبه إلى أن يحترم الوصايا بشكل يسمح لهم بأن يكونوا أقوياء حتى يحتلوا الأرض ليعيشوا بها طويلاً (التثنية ١١ : ٨ – ٩، ٣١–٣٢). وإذا أطاعوا الرب؛ سيطرد جميع الأمم ويعطيهم أراضيهم (١١ : ٢٣) وستتوسع أرضهم من الصحراء إلى لبنان ومن الفرات إلى البحر غربًا (التثنية ١١ : ٢٤). وتجىء الإشارة إلى القوانين التى يجب أن يحترموها فى الإصحاح الثانى عشر إلى الإصحاح السادس والعشرين؛ حيث يجب عليهم أن يدمروا معابد الشعوب الأخرى ومذابحهم وأصنام آلهتهم ومسح أسمائهم من جميع الأماكن (التثنية ١٢ : ٢ –٣). وسيقدمون إلى المكان الذى اختاره الرب ـ ليسكن فيه اسمه ـ كل ما يأمر به (التثنية ١٢ : ١١). التقليد [تقليد الشعوب الأخرى] والشرك محظوران (التثنية ١٢ : ٢٩ –٣٠)؛ ومن يفعل ذلك فيتم رجمه بالحجارة (التثنية ١٣ : ١٠). يجب تفادى الانحراف: «العدل والعدل وحده أجْرُوا، لتحيوا وتمتلكوا الأرض التى يهبها الرب إلهكم لكم» (التثنية ١٦ : ٢٠).

ومن ضمن القواعد أن يبين الكاهن بوضوح أن يهوه هو الذى يعطى النصر (التثنية ٢٠ : ٤ ). وعندما تستسلم مدينة محاصرة، يخضع جميع السكان للرق، فيصبحون كلهم عبيدًا، وإذا رفضوا، اقتلوا كل الذكور وخذوا كل النساء والأطفال والماشية كغنائم (التثنية ٢٠ : ١١-١٤).

**أما مدن الشعوب التى يهبها الرب إلهكم لكم ميراثًا فلا تَستَبْقُوا فيها نسمة حيَّة، بل دمروها عن بكرة أبيها، كمدن الحثيين و الأموريين و الكنعانيين و الفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمركم الرب إلهكم، لكى لا يعلِّموكم رجاساتهم التى مارسوها فى عبادة آلهتهم، فتغووا وراءهم و تخطئوا إلى الرب إلهكم (التثنية ٢٠: ١٦-١٨).**

إلا أنه يتم استثناء الشجرة المثمرة ، وكذلك تُستثنى من يرغب فيها أحدكم ويريد أن يتزوجها « . . وشاهد أحدكم بين الأسرى امرأة جميلة الصورة فأولع بها وتزوجها» (التثنية ٢١ : ١١). ويتم بعد ذلك عرض شرائع أخرى فى إصحاحات أخرى (التثنية ٢١ : ١٥-٢٣ : ١) مصحوبة بشرائع ذات طابع إنسانى أو لها علاقة بالطقوس (التثنية ٢٣ : ٢-٢٥ : ١٩). ويتم تقديم أبكار الغلات إلى الرب كرمز للإيمان(التثنية ٢٦ : ٦-١٠) . وهناك تذكير آخر باحترام الشرع (التثنية ٢٧ : ١ - ٢٦ )، بالإضافة إلى بركات الطاعة ولعنات العصيان (التثنية ٢٨ : ١- ٦٩). ويُذكِّر موسى بالعهد ويحذِّر من أن الكفر سيعاقب بالنفى من الأرض(التثنية ٢٩ : ١٣- ٢٩). وإذا تذكر الشعب البركات واللعنات، وعاد إلى يهوه « فإن الرب إلهكم يلم شتاتكم من بين جميع الشعوب» (التثنية ٣٠ : ٣-٥). فالبديل واضح : إذا احترموا الوصايا ينتشرون فى أرض الوعد وإلا لن يبقوا فيها أبدًا إذا لم يحترموها(التثنية ٣٠: ١٥-٢٠).

أما بقية الكتاب ، فيعبر عن وصية موسى الأخيرة، وعهد موسى، و اختيار يشوع ليقود الشعب وراء نهر الأردن (التثنية ٣١ : ٣- ٦)، يكرر موسى الرسالة على يشوع، كما يتلقى موسى نبأ موته وارتداد شعبه بعد وفاته (التثنية ٣١ : ١٦-٢١)، وينشد نشيدًا للرب، حيث يمجد الرب لكماله تارة ، وتارة أخرى يذكر سلسلة أخطاء شعبه والتحذيرات المكررة من وقوع فواحش فى المستقبل (التثنية ٣٢ : ١-٤٣). ويعتمد استقرار الشعب فى أرض الوعد على تطبيق كل أوامر الرب وشرائعه (التثنية ٣٢ : ٤٦ - ٤٧)، وقبل أن يموت موسى ، صعد بأمر من الرب إلى جبل نبو، حيث شاهد عن

بُعد أرض كنعان (التثنية ٣٢ : ٥٢). وفى الإصحاح الثالث والثلاثين ينشد موسى ترانيم الموت بمدح يهوه (التثنية ٣٣ : ٢٧ - ٢٩).

وينتهى الكتاب برؤية موسى أرض الوعد: من جلعاد إلى دان وأيضًا أراضى نفتالى، وأفرايم ومنس، وسائر أرض يهودا الممتدة إلى البحر الغربى [البحر المتوسط]. وكذلك النقب فى الجنوب، ووادى نهر الأردن وأريحا مدينة النخيل حتى صوغر. (التثنية ٣٤ : ١ -٣).

ومات موسى «وتم دفنه فى الوادى فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف أحد قبره إلى هذا اليوم» (٣٤: ٦). كان يبلغ عمره ١٢٠ عامًا عندما تُوفِّى. وكان يشوع بن نون قد امتلأ بروح الحكمة؛ لأن موسى وضع يديه عليه. وعلى الرغم من أنه لا يوجد نبى كموسى، إلا أنه ترك خليفة يستحق خلافته (التثنية ٣٤: ٤ ـ ١٢).

## الأرض فى سفر يشوع

يقدم لنا هذا السفر بطله يشوع، والذى تم اختياره إلهيًا لأنه يستحق خلافة موسى (سفر يشوع، الإصحاح ١) وهو صورة طبق الأصل من موسى من عدة وجوه. وقدره هو أن يتمم رسالة موسى بقيادة الشعب إلى أرض الوعد، حيث يتم هناك تطبيق وصايا الله حتى يستمروا فى البقاء على هذه الأرض. ويصف الجزء الأول (٢ : ١-١٢ : ٢٤) غزو بنى إسرائيل للأرض فى أسلوب ملحمى، مُركزًا على الاستيلاء على بعض المدن المهمة وعلى المصير الذى ينتظرهم وفقًا لشرائع الحرب المقدسة. ويلى ذلك تقسيم الأرض (١٣ : ١-٢١ : ٤٥) وينتهى الكتاب بملحق (يشوع ٢٢ : ١-٢٤ : ٣٣).

وبعد موت موسى، يكلم يهوه يشوع، ويؤكد له الوعد بشأن هبة الأرض التى وعدها لموسى: الأرض من البرية إلى لبنان، ومن البحر [المتوسط] فى الغرب إلى نهر الفرات فى الشرق (يشوع ١ : ١-٤). وقال الجاسوسان اللذان أرسلهما يشوع إلى أريحا إن كل السكان خائفون لدرجة الموت (يشوع ١ : ٢٤)، ويقص الكتاب عبور نهر الأردن (يشوع ٣: ١ - ٥ : ١) ومراسيم الاحتفال بعيد الفصح فى الجلجال (يشوع ٥ :

٢ - ١٢) وتدمير أريحا بعدما نفخ الكهنة فى الأبواق فى المرة السابعة ، فقال يشوع للشعب : «اهتفوا، لأن الرب قد وهبكم المدينة : واجعلوا المدينة وكل ما فيها محرمًا للرب، باستثناء راحاب الزانية، وكل من لاذ ببيتها فاستحيوهم، لأنها خبأت الجاسوسين المرسلين لاستطلاع أحوال المدينة . وأما أنتم فإياكم أن تأخذوا ما هو محرم لئلا تهلكوا وتجعلوا مخيم إسرائيل محرمًا وتسببوا له الكوارث . أما كل غنائم الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد، فتخصص للرب وتحفظ فى خزانته»(٦ : ١٦- ١٩) . فهتف الشعب، ونفخ الكهنة فى الأبواق . . وكان هتاف الشعب لدى سماعهم صوت نفخ الأبواق عظيمًا، فانهار السور فى موضعه . فاندفع الشعب نحو المدينة كل إلى وجهته، واستولوا عليها . ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير(*) .

وقال يشوع للرجلين اللذين ذهبا لاستكشاف المدينة : «ادخلا بيت المرأة الزانية وأخرجاها مع كل ما لها من هناك كما حلفتما لها» . فمضى الجاسوسان إلى بيت راحاب، فأخرجاها هى وأباها وأمها وإخوتها وكل ما لها، وأقرباءها، وذهبا بهم إلى مكان آمن خارج مخيم إسرائيل، ثم أحرق الإسرائيليون المدينة بالنار بكل ما فيها . أما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد ، فقد حفظوها فى خزانة بيت الرب . واستحيا يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل ما لها، فأقامت فى وسط شعب إسرائيل (وكذلك ذريتها) إلى هذا اليوم، لأنها خبأت الجاسوسين اللذين أرسلهما يشوع لكى يستطلعا أحوال أريحا .

فى ذلك الوقت أنذر يشوع الشعب قائلاً : «ملعون أمام الرب كل من يحاول أن يعيد بناء مدينة أريحا، فإن بكره يموت وهو يضع أساساتها، وصغيره يهلك وهو يقيم بواباتها . وكان الرب مع يشوع فشاع صيته فى كل الأرض»(٦ : ٢٢ -٢٧ ) .

ظهر أول مثل على خيانة بنى إسرائيل أن عخان (وهو من قوم بنى إسرائيل) استولى على بعض الغنائم الموهوبة للرب .

---

(*) تكرر هذا الأمر الإلهى بالقضاء على كل السكان : رجال وشيوخ ونساء وأطفال، وحتى الحيوانات، عدة مرات فى العهد القديم ـ المترجمة .

وبسبب خطيئة عخان، فشلت أول محاولة للاستيلاء على مدينة عاى (يشوع ٧ : ١١). وأخيرًا رجم جميع إسرائيل عخان وأهل بيته بالحجارة، ثم أحرقوهم. (يشوع ٧ : ٢٥-٢٦)(*). وبعد هذا، سار المحاربون إلى مدينة عاى لمحاربتها بأمر من يهوه،

(*) وقال الرب ليشوع: «لا تجزع ولا تثبط همتك. خذ جيشك برمته وحاصر عاى لأنى قد أسلمتك ملك عاى وشعبه ومدينته وأرضه. فتجرى على عاى وملكها ما أجريته على أريحا وملكها، غير أنكم تنهبون لأنفسكم غنيمتها وبهائمها. انصب كمينًا خلف المدينة». فهب يشوع وجميع المحاربين وتوجهوا لمهاجمة عاى. واختار يشوع ثلاثين ألف رجل من محاربيه الأشداء، وأرسلهم ليلاً، بعد أن أوصاهم قائلاً: «اذهبوا واكمنوا خلف المدينة. لا تبتعدوا عنها كثيرًا وتأهبوا جميعكم للقتال. وأما أنا وبقية المحاربين الذين معى فنقترب إلى المدينة. فما إن يخرجوا للقائنا. كما حدث سابقًا، حتى نتظاهر بالهرب أمامهم، فيتعقبونا، وبذلك نجذبهم بعيدًا عن المدينة، ظنّا منهم أننا هاربون أمامهم كما جرى فى المرة الماضية، فتنقضون أنتم من المكمن وتستولون على المدينة التى يخضعها الرب إلهكم لكم. ولدى استيلائكم على المدينة تضرمون فيها النار بأمر الرب، فافعلوا ونفذوا ما أوصيتكم به». وأطلقهم يشوع فتوجهوا إلى المكمن، حيث تربصوا بالمدينة ما بين بيت إيل وغربى عاى. وقضى يشوع ليلته تلك فى وسط الشعب.

وفى الصباح التالى نهض يشوع مبكرًا، وأحصى الجيش وسار هو وشيوخ إسرائيل فى طليعتهم نحو عاى. وتقدمت معه قواته كلها حتى أتوا إلى مقابل المدينة، حيث نزلوا شماليَّها، لا يفصل بينهم وبين عاى سوى الوادى، وأرسل يشوع قوة دعم أخرى مؤلفة من خمسة آلاف محارب لتكمن بين بيت إيل وعاى غربى المدينة. وتمركز الجيش الرئيسى فى شمالى المدينة، فى حين تربص الكمين فى غربيِّها، أما يشوع فقد قضى تلك الليلة فى وسط الوادى. ولما رأى ملك عاى ما يجرى، خرج بجيشه مبكرًا للقاء إسرائيل ومحاربته فى السهل، وهو لا يدرى أن هناك كمينًا يتحفز للهجوم عليهم من خلف المدينة. فتظاهر يشوع وبقية الجيش بالانكسار أمامهم، ولاذوا بالفرار فى طريق الصحراء. فتنادى جميع الشعب الذين فى المدينة لتعقب يشوع، فجدُّوا وراءهم مبتعدين عن المدينة. ولم يبق فى عاى أو فى بيت إيل رجل لم يسع فى مطاردة الإسرائيليين، تاركين المدينة مفتوحة للكمين.

فقال الرب ليشوع: «مد رمحك نحو عاى لأننى وهبتك المدينة». فمد يشوع الحربة التى بيده نحو المدينة، فاندفع الكمين من مكانه بسرعة عندما مد يده بالحربة وركضوا واقتحموا المدينة واستولوا عليها وأحرقوها بالنار. فالتفت رجال عاى وراءهم وإذا بهم يشاهدون دخان المدينة يتصاعد إلى السماء، فلم يكن لهم من مهرب، فانقلب الجيش الهارب إلى الصحراء على مطارديه. ولما رأى يشوع ومحاربوه أن الكمين قد استولى على المدينة، وأن دخانها قد ملأ الفضاء، شرعوا فى مهاجمة رجال عاى والقضاء عليهم. كذلك خرج الكمين من المدينة لقطع طريق الهرب عليهم. فوجد أهل عاى أنفسهم محصورين بين الإسرائيليين من الأمام ومن الخلف، ففتك بهم الإسرائيليون، فلم ينج منهم أحد. أما ملك عاى فقد وقع فى الأسر فتسلمه يشوع. وعندما تم القضاء على جيش عاى فى الصحراء حيث تعقبوا الإسرائيليين، وفنوا جميعهم بحد السيف، رجع المحاربون الإسرائيليون إلى عاى وقتلوا كل من فيها. فكان جميع من قتل فى ذلك اليوم من رجال ونساء اثنى عشر ألفًا. وهم جميع أهل عاى. وظل يشوع مادًا يده بالحربة نحو المدينة حتى تم القضاء على جميع أهل عاى. أما البهائم وغنائم المدينة فقد نهبها الإسرائيليون لأنفسهم، بمقتضى أمر الرب الذى أصدره إلى يشوع. وهكذا أحرق يشوع عاى وحوَّلها إلى تل خراب أبدى إلى هذا اليوم. وشنق ملك عاى على شجرة إلى وقت المساء، وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الشجرة وطرحوها عند مدخل بوابة المدينة وهالوا عليها كومة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم. (يشوع ٨ : ١- ٢٩).

وألحقوا بها نفس الخسائر التى لحقت بمدينة أريحا. ولم يبق من الـ «١٢٠٠٠» ساكن أحد على قيد الحياة، وحرق يشوع كل المدينة وجعل منها مدينة خراب للأبد.

وتم الاحتفال بهذا الانتصار بتقديم الذبائح. ووقف جميع الإسرائيليين، نصفهم أمام جبل جرزيم ووقف النصف الآخر أمام جبل عيبال، ثم تلا يشوع فى خشوع ورقَّة يتناسبان مع الحدث جميع عبارات التوراة المختصة بالبركة واللعنة (يشوع ٨ : ٣٠-٣٥).

لقيت قوات القتل والسلب بقيادة يشوع مقاومة من الحثيين و الأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين و اليبوسيين، حيث سعت تلك الشعوب إلى الدفاع عن أراضيها. أما أهل جبعون، فقد لجأوا إلى الحيلة الماكرة، حتى عقد لهم يشوع معاهدة صلح وأبرم معهم اتفاقًا للمحافظة على حياتهم، وأصبحوا عبيدًا يحتطبون الحطب ويستقون الماء لبنى إسرائيل (يشوع ٩ : ١ -٢١).

يصف الإصحاحان التاليان ـ بصورة دقيقة ـ الاتجاه الجديد لمسرح الغزو. فيصف الإصحاح العاشر الحملة نحو الجنوب؛ أما الإصحاح الحادى عشر فيصف الحملة نحو الشمال. وفى الحملتين سيتم الحرص على تطبيق التحريم [القتل] حرفيّا(*). وأمر يشوع الشمس بأن تتوقف فى جبعون ، والقمر أن يتوقف فوق وادى أيلون حتى ينتقم الجيش من أعدائه (يشوع ١٠ : ١٢-١٣).

وأخيرًا يلخص المؤلف تدمير يشوع بأمر من الرب كل نفس بشرية من «قادش برنيع» إلى غزة وأماكن أخرى (يشوع ١٠ : ٤٠-٤٣).

أما الإصحاح الحادى عشر، فيصف الحملة فى اتجاه الشمال بطريقة أدبية تشبه بشكل كبير ما قيل فى الإصحاح العاشر. وكان هناك تحالف بين الملك يابين (ملك حاصور) ويوباب (ملك مادون) وملك شمرون وملك أكشاف وملوك الجبل شمالاً

(*)« . . واستولى يشوع على مقيدة وقتل بالسيف ملكها وكل نفس فيها. لم يفلت منها ناج . . . ثم توجه من مقيدة إلى لبنة وحاربها فدمرها وقتل كل نفس فيها بحد السيف فلم يفلت منها ناج . . . إلى لخيش . . ودمروها وقتلوا كل نفس فيها بحد السيف . . نحو عجلون . . ودمروها وقضوا على كل نفس فيها بحد السيف . . وجرون . . . ودبير . . . كل أرض الجبل والمناطق السهلية والسفح . . لم يفلت ناج . . . »بل قضى على كل حى كما أمر الرب إله إسرائيل(١٠ :٢٨-٤٠).

وملوك وادى الأردن جنوبى بحيرة الجليل وملوك السهل و مرتفعات «دور» غربًا وإلى ملوك الكنعانيين شرقًا وغربًا و الأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين فى إقليم الجبل و الحويين المقيمين على سفح جبل حرمون فى أرض«المصفاة»(*) (يشوع ١١ : ١ -٣)، إلا أن هذا التحالف لم يكن يضاهى قوة يشوع الذى كان يُسَانده الرب، وباغتهم بنو إسرائيل وقضوا عليهم بحيث لم يفلت منهم ناج (يشوع ١١ : ٧-٩). ولينهى يشوع مهمته، توجه إلى «حاصور» فقتل الملك والشعب وحرق المدينة وقضوا على كل نسمة بحد السيف (يشوع ١١ : ١١). ويلى ذلك ملخص موجه للقارئ عن بقية الحملة. وغزا يشوع كل الأرض وأباد السكان نهائيّا (يشوع ١١ : ١٦-٢٣).

أما الإصحاح الثانى عشر، فيعرض أسماء الملوك الذين انهزموا و الأراضى التى تم احتلالها أولاً تحت قيادة موسى فى شرق نهر الأردن (يشوع ١٢ : ١-٦)، وبعد ذلك غرب نهر الأردن تحت قيادة يشوع (يشوع ١٢ : ٧-٢٤). أما الإصحاحات من ١٣إلى ٢١، فتشرح تقسيم الأرض بين أبناء إسرائيل، مع التركيز بالأخص على ما سيكون بعد ذلك مملكة يهودا. وتشير الآيات الأولى من هذه الفصول إلى أن الغزو لم ينته: «وشاخ يشوع وطعن فى العمر، فقال له الرب: لقد شخت وطعنت فى السن، ومابرحتْ هناك أرض شاسعة للامتلاك. وهذه هى الأرض المتبقية: كل مناطق أرض الفلسطينيين.. وكذلك كل أرض الكنعانيين.. وكل لبنان شرقًا.» (يشوع ١٣ : ١ - ٦)، وتأتى نهاية الغزو باستعمار: «جميع الأراضى التى حلف أن يعطيها لآبائهم» (يشوع ٢١ : ٤٣-٤٥). وفى الصفحات اللاحقة نجد وصفًا مثاليّا لإسرائيل تحت قيادة يشوع (يشوع ٢٢ : ١-٢٤ :٣٣)، وتم تنفيذ الاتفاقيات المبرمة مع الرأوبينيين والجاديين ونصف أفراد سبط مَنَسَّى (يشوع ٢٢ : ١-٣٤)، وتم تحديد المكان الرسمى للشعائر (شكيم فى الإصحاح ٢٤)، وينتهى هذا الكتاب بخطاب الوداع ليشوع (يشوع ٢٣) والتجمع فى شكيم (يشوع ٢٤ : ١-٨)، وإعلان موت يشوع ودفنه هو ويوسف وألعازار (يشوع ٢٤ : ٢٩-٣٣).

## الأرض فى الأسفار الأخرى من الكتاب المقدس

ويتناول سفر القضاة فترة الانتقال من يشوع إلى شاول. ومع وفاة يشوع تنتهى حقبة

(*) بالنسبة لرقعة أرض صغيرة لا تتجاوز مجرد جزء من فلسطين، يعد هذا العدد من الملوك والمماليك كبيرًا، ويبدو أن المقصود بالملوك روساء قبائل، أو ما أشبه ـ المترجمة.

موسى بينما يعلن تقلد شاول زمام الأمور اقتراب فترة داود والملكية. تختلف الصورة التى يقدمها لنا كتاب القضاة تمامًا عن تلك التى قدمها سفر يشوع. بينما يصف سفر يشوع بشكل مفصل نجاحات الغزو، يصف سفر القضاة الغزو على أنه عمليات معقدة ومتتالية من النجاح والإخفاق، تأثرت بنجاحات و بإخفاقات.

ويتجلى موضوع الأرض فى أسفار أخرى فى الكتاب المقدس، ولكن هناك شكّا فى تداول هذه الأسفار قبل فترة النفى. وليس لدى «إشعياء وميخا» رسولى القرن الثامن [قبل الميلاد] ذكر إلا لقصة ميديان (إشعياء ١٠ : ٢٦). ونجد فى مملكة الشمال إشارة إلى الأموريين (عاموس ٢ : ١٠) وإشارة محتملة لفساد جبعة (هوشع ٩ : ٩).

أما فيما يخص الاحتفال بالشعائر المرتبطة بغزو الأرض، فلم يكن هناك إلا القليل قبل فترة النفى. فالمزمور (٦٥ : ٩ -١٣) مجد يهوه لمحافظته على الأرض بصفة عامة؛ أما المزمور (٧٨ : ٥٤ -٥٥) فيؤكد على اهتمامه الخاص ببنى إسرائيل:

**وأدخلهم إلى تخوم أرضه المقدسة، إلى الجبل الذى امتلكته يمينه. ثم طرد الأمم من أمامهم، وقسَّم أرضهم بالحبل ليجعلها ميراثًا لشعبه، وأسكن فى خيامهم أسباط إسرائيل.**

تكررت الإشارة إلى الأرض فى مزامير أخرى:

**وهكذا أخرج شعبه ومختاريه من مصر بابتهاج، بترانيم الظفر. ووهبهم أراضى الأمم، فامتلكوا غلاَّت تعبت فيها شعوب أخرى (مزمور ١٠٥ : ٤٣-٤٤).**

وأيضًا: **نقلت كرمة (أى الشعب) من مصر، طردت أممًا وغرستها مكانهم (المزمور ٨٠ :٨).**

إلا أن التفصيلات عن الغزو قليلة. يشير المزمور (١١٤) إلى تراجع مياه نهر الأردن. والمزموران (٧٨: ٥٤-٦٦) و (٨١ : ١١-١٢) يشيران إلى عصيان بنى إسرائيل. إلا أنه لا يوجد دليل يؤكد أن هذه الكتابات سبقت فترة النفى، أو أنها ليست مستمدة من سفرى يشوع و القضاة.

وهناك نقص واضح فى الأدلة على أن التراث الكتابى عن الغزو والاستيطان [فى أرض الوعد] قد ظهر قبل فترة النفى. وفى فترة النفى، أصبحت هذه التقاليد ذات

أهمية لدى إرميا وحزقيال، ومع ذلك فهما لا يشيران إلى أن الأرض قد تم احتلالها من قبل يشوع والقضاة[1]، وهذا ما يشد انتباهنا، لأنه باستثناء سفر التثنية، فإن التراث الخاص بالغزو والاستيطان لا يحتل إلا مكانة صغيرة فى الكتاب المقدس( انظر بارتلت ١٩٩٠ : ٥٥)[2].

ولنر الآن كيف تم استغلال قراءة ظاهرية للنصوص المقدسة فى خدمة المشاريع الاستعمارية.

## استغلال تراث الكتاب المقدس عن الأرض

يتمتع الكتاب المقدس بقوة وسلطة فريدة من نوعها بالنسبة لمعابد اليهود وكنائس المسيحيين على حدٍّ سواء. فالتوراة أتت من السماء[3]، وبما أنها تحمل أوامر الرب لشعبه، فتطبيق هذه القواعد هو الواجب الدينى الأعلى. وتتجلى تقوى الإسرائيليين فى السعى بكل حماس وحب لطاعة التوراة فى تفاصيلها الدقيقة (شورير ١٩٧٩ : ٣١٤)، وبالتالى يجب قبول التوراة فى مجملها وفى تفاصيلها. ويتمتع الكتاب المقدس بالسلطة ذاتها فى الكنيسة، فهو كلمة الله. إلا أن الكتاب المقدس يُثير مشكلة أخلاقية أساسية بالنسبة لمن يقرأه ظاهريّا.

ووفقًا للكتاب المقدس، هرب اليهود العبيد من مصر، واحتلوا أرضًا مأهولة

(١) تم إعطاء الأراضى لأسلاف إسرائيل (إرميا ٧ : ٧) كملكية (٣٢ : ٢٢) أو إرث (٣ : ١٨) وهى أرض العسل واللبن (١١ : ٥، ٣٢ : ٢٢- ٢٣) وحزقيال (٢٠ : ٦، ١٥) إلا أن بنى إسرائيل نجسوها (إرميا ٢ : ٧) بسبب عصيانهم (إرميا ٣٢ : ٢٣).

(٢) وفى العهد الجديد، نلاحظ الإشارة إلى انتصارات يشوع الذى حارب الأعداء، وذلك فى خطبة إستفانوس (أعمال الرسل ٧ : ٤٥) وفى (عبرانيين ٤ : ٨) وفى كتابات الآباء، يرى برنابا المزيف أن صلاة موسى بفتح اليدين ورفعهما حتى ينتصر يشوع على العماليق ما هى إلا تقديم لما سيأتى مثل الصليب والمصلب (رسالة برنابا ١٢ : ٢-٣)، ويعتبر برنابا يشوع كصورة ليسوع (١٢ : ٨ -١٠). وبالنسبة لجوستين أيضًا، فإن يشوع صورة للمسيح : ومثلما قام يشوع بقيادة جيشه إلى أرض كنعان يقود المسيح أيضًا المسيحيين إلى أرض الوعد الحقيقية (ديال : ١١٣) وقد فسر سيريل من الإسكندرية أيضًا التوراة بنظرة مسيحية من قابيل وهابيل إلى يشوع. كما قام هيلر بإعطاء بعد مسيحى ليشوع (انظر سيمونيتى ١٩٩٤ : ١٤، ٢٠، ٣٣ حاشية ١٤، ٧٩، ٨٩).

(٣) صرح الحاخام جوناثان ساكس : «من لا يؤمن بالطابع السماوى للتوراة، فقد قطع العلاقة مع إيمان الأسلاف».

بالسكان، ومثل هذا الاحتلال يؤدى حتمًا إلى اندلاع حروب وقتل. وما يميز الرواية المقدسة لهذا النشاط الاحتلالى المصحوب بالقتل والإبادة ـ مثلما يوضحه سفر يشوع ـ أو وفقًا لطريقة أكثر تدريجية ـ مثلما يوضح ذلك سفر القضاة ـ أنه لم يحدث فقط بموافقة من الله، بل بأمر منه. وفى كتاب يشوع على وجه خاص يقتل بنو إسرائيل الشعوب الأخرى وفقًا للتعليمات الإلهية. وتثير هذه الصورة بشأن الله الذى يأمر بقتل شعوب أخرى مشكلة بالنسبة لكل من يؤمن أن السلوك الأخلاقى الإلهى لا يقل عن متطلبات السلوك الإنسانى المتواضع. ويصبح للوصية القائلة: «وتستأصلون جميع الشعوب الذين يسلمهم الرب إليكم، فلا تشفقوا عليهم ولا تعبدوا آلهتهم لأن ذلك شرك لكم» (التثنية ٧: ١٦) أهمية خاصة عندما نتذكر كيف استخدمت تلك النصوص كأداة قمع تبرر الاستعمار فى مناطق مختلفة وعصور مختلفة، حيث تم اعتبار السكان الأصليين كالحثيين والجرجاشيين والشعوب الأخرى التى استحقت القمع والطرد والإبادة من الشعب المختار. ولو لم تكن هذه النصوص من مصدر مقدس؛ لقلنا إن مثل هذه النصوص تحرض على الكراهية العنصرية. وللوهلة الأولى ـ ووفقًا لمعايير القواعد الأخلاقية و قواعد حقوق الإنسان التى تبناها مجتمعنا ـ تشجع الأسفار العبرانية الستة الأولى على التعصب والعنصرية، وتدعو لكراهية الأجانب، ويقوم ذلك التشجيع على قدر مُعتبر من الشرعية، وهو الاستحسان الإلهى. وعلى المستوى الأخلاقى، لدينا الحق فى أن نسأل: هل تعطى التوراة شرعية إلهية لاحتلال أراضى الغير وتسمح بإبادة الشعوب الأصلية التى تقطنها؟

تقدم الحروب الصليبية مثالاً صارخًا عن العلاقة بين الدين و السلطة السياسية وتوضح بشكل جلى، كيف تم استخدام الكتاب المقدس فى قمع الشعوب (انظر بريور١٩٩٥ب)، ويكفى أن نوضح أسلوب التفكير الدينى واللاهوتى الذى استخدم كمبرر لهذه الممارسات. ويرجع التفسير البابوى لهذا العنف إلى القديس «أوغسطين» الذى يعتمد على العهد القديم ليثبت أن الله يمكن أن يأمر بذلك. إن الحرب التى تقوم باسم الله هى المثل الأفضل عن حرب عادلة. ورفض أخلاقية حرب وافق عليها الرب، بمثابة رفض الرب. هذا كما سينصر الله الذين سيحاربون باسمه مثلما ساعد بنى إسرائيل على التغلب على الأموريين. ويتجلى رأى القديس أوغسطين فى العديد من مؤلفاته، حيث تم جمعها كلها فى كتاب واحد قبل الحرب الصليبية الأولى (حوالى ١٠٨٣ من قبل أنسليم من لوكا، وحوالى ١٠٩٤ من قبل إيڤو من شارتر). وعندما

أعلن البابا «أوربان الثانى» الحرب الصليبية الأولى فى كنيسة كلرمون يوم ٢٧ نوفمبر من عام ١٠٩٥، دعا الجنود لخوض الحرب من أجل المسيح، حيث ضمن لهم أن يغفر لهم جميع خطاياهم (هاجنمبير ١٩٠١ فى ريلاى سميث ١٩٨١ : ٣٨) ويتضح من خلال خطابه أنه يجمع بين أربعة دوافع ـ ما زالت فاعلة حتى اليوم ـ : دعوة للتقوى المسيحية، والهلع المرضى من الأجانب، والغطرسة الإمبريالية (الاستعمارية )ـ وذلك صبغ الكثير من المشاريع الاستعمارية التى تلجأ للدين لتبرير أعمالها (انظر ريلاى سميث١٩٨١ : ٤٣- ٤٤) ـ ثم أخيرًا، وليس آخرًا، يأتى السبب الرابع : تحرير القدس من الأعراق النجسة، والتى بممارساتها النجسة دنست الأماكن المقدسة. بررت الدوافع الأربعة اعتداءات الذين كانوا يحملون الكتاب المقدس بعهديه فى يد والسيف فى اليد الأخرى والصليب على الجبين أو الصدر؛ فقد كانوا يمارسون ذلك وفقًا للرغبة الإلهية : «من لا يحمل صليبه ويتبعنى، فلا يستحقنى».

تتضح الرابطة بين السيف والصليب أكثر فى تأسيس الجماعات الدينية الحربية مثل «رهبان الحرب».

جاء هيوز دى پايان إلى سوريا عام ١١١٥ ومنذ ١١١٨، أعلن نفسه حاميًا للحجاج (سيوارد ١٩٩٥ : ٣٠) وأقسم على ذلك مع سبعة فرسان آخرين؛ وعلى أن يعيشوا عابدين فقراء زاهدين طاهرين. وفى ١١٢٦ عاد إلى فرنسا و طلب مساعدة «برنار دى كليرفو» الذى وعده بأن يجند له مقاتلين. ويرى برنار أن جنود الكنائس ما هم إلا رهبان سيتيون(*) محاربون :

يتناول الرهبان وجبتين أساسيتين، فى صمت مشفوع بتلاوة الكتاب المقدس، مع التركيز على آيات يشوع والمكابيين. ويستلهمون من يهودا وإخوته حروبهم الضارية فى الأراضى المقدسة لاستعادتها من الكفار المتوحشين (سيوارد ١٩٩٥ : ٣٢)

ولم يجد الرهبان السيتيون أى تناقض بين الحرب التى يشنونها من أجل يسوع والصلاة. ويعتمدون على حكم القديس برنار الذى يرى أن القتل باسم المسيح، أى

(*) السيتيون ينتمون إلى جماعة سيتو الدينية التى تأسست فى القرن الثانى عشر، نسبة إلى سيتو وهو دير بندكتى. وقامت هذه الجماعة بدور هام فى الإعداد للحرب الصليبية الثانية، ولم يدخلوا الشرق إلا مع بداية القرن الثالث عشر بمبادرة من الأساقفة القادمين من أوروپا. انظر الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ـ كلود كاهن، ترجمة أحمد الشيخ ص ٢٠٦ ـ المراجع.

القضاء على الظلم أو الشر لا يسمى قتلاً، بل هو استئصال للظلم. وبالفعل فقتل عابد الأوثان يجلب المجد لأننا ننصر المسيح، وهناك جماعات أخرى مثل الإسپتارية (*) الذين كانوا يعالجون المرضى. ولكن كان يقال عنهم إنهم عندما استقبلوا جسد المسيح كانوا يحاربون كالشياطين (سيوارد ١٩٩٥ : ٤٠) وكان من يموت فى الحرب يموت شهيداً، ويقدر عدد الذين حصلوا على هذا الشرف فى الحروب من أجل المسيح فى قرنى الحروب الصليبية بعشرين ألف شهيد (سيوارد ١٩٩٥ : ٣٥).

## الكتاب المقدس والتراث الشفهى: دراسة حالة

ما هو دور النصوص المقدسة فى تكوين القيم والمبادئ الأخلاقية؟ لتقييم تأثير التحيزات العرقية و الدينية المكتسبة على الحكم الأخلاقى، قام عالم الاجتماع النفسى الإسرائيلى «جورج تامارين» بإجراء دراسة حول تأثير الإفراط فى حب الوطن (الشوڤينية) على الحكم الأخلاقى. وقد درس التحيز فى أيديولوچية الشباب الإسرائيلى، و تأثير التعليم غير النقدى للكتاب المقدس على النزوع لمثل هذا التحيز (١٩٦٣). وسعى إلى أن يقيِّم إلى أى درجة يتطور التحيز بسبب الدراسة الدينية غير النقدية لمفاهيم مثل الشعب المختار، وأعلوية الديانات التوحيدية، وأعمال الإبادة الجماعية التى قام بها أبطال الكتاب؟

واختار تامارين سفر يشوع لأنه يحتل مكانة هامة فى المناهج التعليمية الإسرائيلية فى التاريخ القومى و الأساطير القومية الإسرائيلية على حد سواء. وقسم عينة الدراسة إلى مجموعتين وهما: المجموعة الرئيسة، ومجموعة مكملة. وطلب من المجموعة الرئيسة التعليق على هذه الآيات من كتاب يشوع الذى يقرءونه كثيراً:

**فهتف الشعب ونفخ الكهنة فى الأبواق. وكان هتاف الشعب لدى سماعهم صوت**

(*) الإسپتارية: هم الفرسان البيض (أو فرسان القديس يوحنا) وتعود قصتهم إلى عام ١٠٤٨ حينما سمح حاكم القدس المسلم لتجار أمالفى (مدينة إيطالية تطل على خليج ساليرنو وكانت مركزاً تجاريّا هامّا آنذاك) ببناء مستشفى للحجاج المسيحيين، وبعد الحملة الصليبية الأولى قام بعض أعضاء المستشفى بالعناية بالمرضى وتضميد جروح المحاربين. وفى عام ١١١٣ أصر ريمون البوبى ومن معه فى المستشفى على أن يطلقوا على أنفسهم اسم فرسان مستشفى القديس يوحنا. والإسپتارية هى الترجمة الصوتية لها فى الأدبيات الكلاسيكية. انظر الترجمة العربية لكتاب كلود كاهن: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ـ المراجع.

**نفخ الأبواق عظيمًا، فانهار السور فى موضعه. فاندفع الشعب نحو المدينة كلٌّ إلى وجهته، واستولوا عليها. ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير (يشوع ٦ : ٢٠-٢١).**

**واستولى يشوع فى ذلك اليوم على مقيدة وقتل بالسيف ملكها وكل نفس فيها. لم يفلت منها ناجٍ، وصنع بملك مقيدة ما صنعه بملك أريحا. ثم توجه يشوع على رأس جيشه من مقيدة إلى لبنة وحاربها، فأسلمها الرب هى أيضًا إلى يد إسرائيل مع ملكها، فدمرها وقتل كل نفس فيها بحد السيف فلم يفلت منها ناجٍ، وصنع بملكها ما صنعه بملك أريحا. بعد ذلك تقدم يشوع من لبنة إلى لخيش وحاصرها وهاجمها، فأسلم الرب لخيش إلى يد إسرائيل، فاستولوا عليها فى اليوم التالى ودمروها وقتلوا كل نفس فيها بحد السيف نظير ما صنعوا بلبنة (يشوع ١٠ : ٢٨ ـ ٣٢).**

ومسح فى دراسته تسع مجموعات من التلاميذ تبلغ أعمارهم مابين ٨ سنوات ونصف إلى ١٤ سنة، يمثلون كل ألوان الطيف فى مدارس إسرائيل : المدن ـ القرى ـ الموشاف ـ الكيبوتز ـ المدارس الدينية ـ مراكز الشباب ـ ومجموعة غير متناسقة من مدارس متنوعة. وكانت الأسئلة المطروحة على التلاميذ هى :

- **السؤال الأول**: فى رأيكم، هل أحسن يشوع و بنو إسرائيل التصرف أم لا ؟ اشرحوا وجهة نظركم.

- **السؤال الثانى**: لنفترض أن الجيش الإسرائيلى حاصر قرية عربية فى إحدى المعارك. هل ترون أنه سيكون من الجيد أن يعامل السكان كما عامل يشوع سكان مدينة أريحا و مقيدة؟ اشرحوا لماذا.

وأثناء دراسته، فرق تامارين بين الموافقة التامة و الموافقة الجزئية و الرفض التام[1] وتنقسم الإجابات كالتالى :

(١) لم يتم الأخذ بعين الاعتبار الأجوبة غير الواضحة أو غير المناسبة. ويوضح تامارين ٣ أجوبة فى فئة «الرفض التام» والتى ـ مع ذلك الرفض ـ تؤكد على سلوكيات عنصرية وتمييزية. الأولى تنقد سلوك يشوع بالقول بأن أبناء إسرائيل تعلموا العديد من التصرفات المشينة من (الجويم ـ Goyim) أى الأغيار. والثانية تدين هذا التصرف مستندة على «لا تقتل» وهو النهى الذى فى الوصايا العشر، ولكن وافقت على ممارسات الجيش فى السؤال الثانى بالقول : «أظن أن ذلك سيكون أحسن لأننا نريد أن نوقع أعداءنا بين أيدينا وأن نوسع أرضنا ونقتل العرب مثلما فعل يشوع». والثالثة طفلة تبلغ من العمر ١٠ سنوات رفضت عمل يشوع قائلة : «أظن أنه ليس جيدًا لأن العرب ليسوا بطاهرين، وإذا دخلنا فى أرض غير طاهرة سنصبح نحن أيضًا غير طاهرين وستنزل علينا اللعنات» ( تامارين ١٩٧٣ : ١٨٧).

**الموقف حيال يشوع و الجيش الإسرائيلى**

| | موافقة تامة ٪ | موافقة جزئية ٪ | رفض تام ٪ |
|---|---|---|---|
| س١ حيال يشوع | ٦٦ | ٨ | ٢٦ |
| س٢ : حيال الجيش الإسرائيلى والقرية العربية | ٣٠ | ٨ | ٦٢ |

ويستنتج تامارين أن هذا الاختبار أثبت وجود سلوك عالى التحيز لدى عدد معتبر من جيل المستقبل الذين تم استجوابهم ؛ بحيث يبرر التوجهات العنصرية (دينية وعرقية قومية، وتبرير استراتيچى للإبادة . . وما إلى ذلك) . أما المجموعة المكملة فقد تم تقسيمها إلى مجموعتين فرعيتين . وتم دعوة المجموعة الفرعية الأولى إلى الإجابة على السؤال الأول انطلاقًا من نص يشوع . أما المجموعة الفرعية الثانية، فقد عرض عليها الصيغة الصينية لسفر يشوع :

«ذهب الچنرال لين ـ الذى أسس الإمبراطورية الصينية منذ ٣٠٠٠ عام ـ يحارب من أجل غزو بلد ما . وصل هو وجيشه أمام مدن كبيرة بها أسوار كبيرة ومحصنة . وظهر إله الحرب الصينى فى حلم للچنرال لين ووعده بالنصر وأمره بقتل كل السكان لأنهم لم يكونوا يدينون نفس الديانة . واستولى لين وجيوشه على المدن وقتلوا كل نفس من رجال ونساء وأطفال وشيوخ و عجول وغنم وحمير . وبعد أن دمروا المدن استكملوا مسيرتهم وغزوا العديد من الدول» .

سأل تامارين هذه المجموعة الفرعية وقال : هل تعتقدون أن الچنرال لين وجيوشه أحسنوا التصرف؟ اشرحوا لماذا .

وتنقسم الإجابات كالتالى :

**الموقف حيال القتل الجماعى**

| | موافقة تامة ٪ | موافقة جزئية ٪ | رفض تام ٪ |
|---|---|---|---|
| حيال يشوع | ٦٠ | ٢٠ | ٢٠ |
| حيال الچنرال لين | ٧ | ١٨ | ٧٥ |

ووفقًا لـتـامـارين، فإن هـذه النتائج تؤكد بلا شك تأثير التعصب الوطنى و الأفكار القومية المتشددة و الدينية على الحكم الأخلاقى( تامارين١٩٧٣ : ١٨٧ – ٨٨).

هذا ويوضح تحليل الإجابات ما يلى:

«إن تعليم الكتاب المقدس الخالى من النقد الموضوعى، خاصة بالنسبة لتلاميذ صغار السن حتى وإن لم يكن كنص مقدس وإنما كتاريخ وطنى، مع أخذ موقف محايد بشأن السـيـاق التـاريخى أو الأسطورى للـمـضـمـون، يؤثر بشكل عـمـيق على تكون التحيزات. . . وهذا الأمر يعم أيضًا الطلبة الذين لا يتلقون تعليمًا دينيًا؛ لأن مثل هذا التعليم ينمى خصائص سلبية وعدوانية تجاه الغريب. ويعد كل من تمجيد حب الوطن كقيمة عليا، مع اعتبار الذوبان [ذوبان اليهود فى البلاد التى يعيشون فيها] هو الشر الأعظم، وتأثير القيم الحربية فى التعليم الأيديولوچى، مصادر للنزعات العنصرية» (تامارين ١٩٧٣ : ١٨٩).

وبالنسبة لـتـامـارين، فإن هذه النتائج تتهم بصورة قاسية نظام التعليم فى إسرائيل وتدعو المسئولين عن هذا النظام إلى الاستفادة من هذه النتائج التى تفرض نفسها. وكانت هذه الدراسة سبب شهرة الكاتب غير المتوقعة وغير المرغوب فيها فى الوقت ذاته، حيث أدى ما سُمىَ بـ«قضية تامارين» إلى فقدان تامارين لمنصبه الهام كأستاذ فى جامعة تل أبيب. وفى رسالة قدمها لرئاسة الجامعة قال مندداً إنه لم يتخيل أبدًا أن يكون الضحية الأخيرة لغزو يشوع لأريحا (تامارين ١٩٧٣ : ١٩٠).

## الكتاب المقدس والسلام والاستعمار

يتسم النقاش الذى يدور بين دارسى الكتاب المقدس ومتخصصى اللاهوت حول موضوع استيطان بنى إسرائيل لكنعان العصر القديم، واستيطان اليهود فى فلسطين فى العـصـر الحـديث، بالتـجـاهـل التـام للسكان الذين كـانوا يقطنون الأرض قبل هذه الغزوات. يدور النقاش حول «الأرض، هبة الله» أو «غزو الأرض هو تطبيق عـقـد الاتفـاق بين الرب وبنى إسـرائيل». و يلاحظ ـ على سبيل المثال ـ أرنولد توينبى أن: «نفس الاعتقاد الذى دفع بنى إسرائيل لإبادة الكنعانيين بأمر من الرب، هو أيضًا الذى دفع بالبريطانيين للاستيلاء على أمريكا الشمالية و أيرلندا الشمالية وأستراليا، ودفع

الهولنديين للاستيلاء على جنوب أفريقيا، والألمان البروسيين للاستيلاء على پولندا، والصهاينة للاستيلاء على فلسطين» (توينبى ١٩٥٤ : ٣١٠).

يصور عدم الاكتراث بالسكان الأصليين الإجحاف الاستعمارى القائم على محورية الذات المتأصلة فى الأوروپيين، والتى صبغت كل الدراسات التاريخية، والدراسات الكتابية [القائمة على الكتاب المقدس] (انظر وايتلام ١٩٩٦ فى فقرات عديدة). وعلى الرغم من هذا، فإن علماء لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا وكوريا الجنوبية والفليپين... الخ، استعملوا نصوص سفر الخروج فى كفاحهم الطويل والصعب ضد الاستعمار و الإمپريالية والدكتاتورية. يتأثر المظلومون بقراءة هذه النصوص ويتعزون بأحداثها وترتفع معنوياتهم. وتختلف نظرة القارئ لسفر الخروج، والأسفار التالية [التثنية ويشوع] إذا كان من بين الكنعانيين، أو ـ فى التاريخ المعاصر ـ من بين أفراد الشعوب الأصلية التى أصبحت ضحايا للاستعمار الذى أججته الإمپريالية الدينية، سواء كان ذلك فى أمريكا أو نيوزيلاندا أو أستراليا أوجنوب أفريقيا أو فلسطين.

ويثير عالم اللاهوت التحررى الفلسطينى نعيم عتيق المشكلة بشكل صارخ، لاسيما أن تطبيق سفر الخروج فى وطنه يتم بصورة طبيعية جدّا.

قبل إنشاء دولة إسرائيل، كان العهد القديم يعتبر جزءًا أساسيّا من التراث الكتابى المسيحى الذى يعلن ويشهد للمسيح. ومنذ إنشاء الدولة الإسرائيلية، قام بعض اليهود والمسيحيين بقراءة العهد القديم وفسروه على أنه نص صهيونى بحت، لدرجة أنه أصبح نصّا بغيضًا بالنسبة للفلسطينيين المسيحيين... والسؤال الأساسى الذى يتساءله الفلسطينيون هو: «كيف يمكن النظر إلى العهد القديم على أنه كلمة الله من وجهة نظر فلسطينى مسيحى، إذا أخذنا بعين الاعتبار الطريقة التى يستخدم بها الكتاب لتبرير السياسة الصهيونية؟» (عتيق ١٩٩١ : ٢٨٣).

أما عالمة اللاهوت الصينية كوك پويلان، فتعترف بأنها لم تستطع الرد على هذا السؤال، وطرحت سؤالين آخرين: أين هى أرض الوعد اليوم؟ وكيف يمكن لى أن أؤمن بإله قتل الكنعانيين، والذى يبدو أنه لم يسمع بكاء الفلسطينيين منذ أربعين عامًا

فى عصرنا الحالى؟ (كوك ١٩٩٥ : ٩٩)، وتؤكد على ضرورة عدم الخلط بين أرض الوعد وأرض الوطن، لاسيما عندما يتعلق الأمر بأرض شعبٍ آخر.

الكتاب المقدس الذى نعتبره المصدر الأعلى للتحرر، تم استخدامه كصك لقمع الشعوب فى الماضى والحاضر على حد سواء. وقد نفهم أن تتركز علاقة وطيدة وخاصة بين الخطاب السياسى والخطاب الدينى فى حالة «الصهيونية وفلسطين»، ولذلك فإذا استطاعت شعوب أخرى تطبيق نموذج الكتاب المقدس فى الغزو والنهب بالقياس على «حقوق مماثلة» [لبنى إسرائيل]، فإن ذلك يمنح لليهود حقوقًا فريدة للغزو والقمع والسلب والنهب، مع تأييد ودعم، لما يرونه حقوقًا لهم فى الغزو والنهب. وقد صوَّر العلاقة بين السياسة والدين الرئيس كلينتون فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣، عندما قام بتقديم رئيس الوزراء الإسرائيلى إسحاق رابين والرئيس عرفات فى حديقة البيت الأبيض، حيث أعلن للعالم «أن الشعبين سيقتسمان مستقبلاً مبنيّا على تعاليم التوراة والقرآن والكتاب المقدس [العهد الجديد]». وطبقًا لما نشرته واشنطن پوست، كان الرئيس قلقًا على مشروع خطابه، حتى أنه أفاق من نومه ـ فى الليلة السابقة له ـ فى الساعة الثالثة صباحًا، وأعاد قراءة سفر يشوع كاملاً، وبعض الأجزاء من العهد الجديد (پريور ١٩٩٤ : ٢٠). وبدا خطابه كخليط جمع بين التحريض على طريقة التقاليد المعمدانية، والمناورة السياسية الماكرة. ولكن على ضوء التاريخ يمكن أن نسأل أنفسنا: هل يمكننا أن نثق فى«قيم التوراة والقرآن والكتاب المقدس» لإرساء العدل والسلام وتأكيد مبادئ حقوق الإنسان؟!(*)

اضطر رئيس أمريكى آخر إلى أن يتعامل مع الصراع بين ما تمليه حقوق الإنسان، وما يمليه الكتاب المقدس. فعندما صدم الرئيس كارتر الأمريكيين المسيحيين الإيڤانجليكيين الأصوليين، والخمسينيين، بإبداء اكتراثه بحقوق الإنسان، واستخدم كلمة «وطن الفلسطينيين» فى خطابه فى مارس ١٩٧٧، ظهرت إعلانات على صفحات كاملة فى الجرائد الأمريكية، وقعتها شخصيات إيڤانجليكية بارزة، منها على سبيل المثال:

(*) يمكن ـ لمن أراد ـ مقارنة تاريخ المسلمين فى الأندلس ـ على سبيل المثال ـ مع تاريخ أوروپا فى الأمريكات، ومع الدولة اليهودية فى فلسطين ـ المترجمة.

«حان الوقت بالنسبة للإيڤانجليكيين ليؤكدوا إيمانهم بنبوءة الكتاب المقدس، وحق إسرائيل الإلهى فى امتلاك أرض الوعد» (الإيڤانجليكيون المهتمون بإسرائيل، إعلان مدفوع الأجر، كريستيان ساينس مونيتور ـ ٣ نوڤمبر ١٩٧٧).

واستهدف اللوبى الموالى لإسرائيل الإيڤانجليكيين الذين يبلغون ما بين ٥٠ إلى ٦٠ مليون أمريكى(*)، حتى إن التلى إيڤانجليكى [النجم الذى يدعو للإيڤانجليكية، ويقدم الخدمات الدينية على شاشة التليفزيون] پات روبرتسون(**) اعتبر أن غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ هو التطبيق النهائى لنبوءة الكتاب المقدس. حيث اعتبر هجمات إسرائيل بمثابة عمل يشوع فى العصر الحديث، ودعا المشاهدين إلى الاتصال بالرئيس ريجان ليعبروا عن مساندتهم للحملة الإسرائيلية (أونيل وواجنر ١٩٩٣ : ٨٤). وقد عبر الحاخام شلومو رسكين الذى رافق الجيش الإسرائيلى فى لبنان للتأمل فى التلمود، عن تأثره البالغ عندما لاحظ أثناء الحرب أن الجنود فى فترات الراحة كانوا يقضون ساعات طويلة فى بحث شرعية قطف الكريز اللبنانى (انظر برمانت ١٩٩٤).

وعلى الرغم من أن نموذج الكتاب المقدس فى القتل غير مقبول فى عصرنا هذا، إلا أنه لا يزال يتمتع بمرجعية كبيرة فى الأوساط الدينية فى إسرائيل. فقد أثار اغتيال ٢٩ مصليًا فى الحرم الإبراهيمى بالخليل (٢٥ فبراير ١٩٩٤) على يد الدكتور «باروخ جولدشتين» ـ وهو خريج أرفع المدارس الدينية اليهودية مكانة فى الولايات المتحدة الأمريكية (ياشيڤا) ـ رفضًا واسعًا. وحتى المؤمنين بالتوراة التى جاءت من السماء، عبروا عن صدمتهم بسبب هذا العمل الإجرامى المرتكب ضد مصلين مستغرقين فى العبادة. إلا أننا نسأل أنفسنا عما يُفَرِّق هذا العمل عن بعض أعمال القتل فى التوراة والتى ارتكبت تطبيقًا لأوامر إلهية، أو يُفَرِّقه عن أشكال مختلفة من الاستعمار والإمپريالية قامت على مثل تلك النصوص؟ و يمكن أن نتساءل إلى أى مدى أثَّر سفر التثنية وسفر يشوع، وبالأخص سفر إستير ـ حيث تتم قراءة هذه الأسفار خلال

(*) كان ذلك وقت طباعة الكتاب ١٩٩٩، والتقديرات الآن أعلى من ذلك ويصل بعضها إلى ٨٠ مليونًا، ومما يتناول ذلك على سبيل المثال كتاب: صعود البروتستانتية الإيڤانجليكية فى أمريكا وتأثيره على العالم الإسلامى ـ د. محمد عارف، منشورات مكتبة الشروق الدولية ـ المترجمة.

(**) علق على دخول شارون فى غيبوبة فى يناير ٢٠٠٦، بأن ذلك عقاب إلهى لمن يتخلى عن أجزاء من أرض الوعد ـ المترجمة.

الاحتفال بعيد البوريم ـ على فكر الدكتور جولدشتين[1] الذى قام بالمذبحة فى اليوم ذاته. وقد لقى عمله هذا دعمًا من بعض الصهاينة الذين ترتكز معتقداتهم على القراءة الحرفية للنص المقدس[*] (انظر بريور ١٩٩٤).

للأسف، لم يهتم رئيس الوزراء رابين بكشف مثل ذلك التأويل الكريه للكتاب المقدس. وتشاء سخرية القدر أن يُغتال رابين أثناء تجمع من أجل السلام فى تل أبيب يوم ٤ نوفمبر ١٩٩٥. وخلال الجلسة الأولى من محاكمة القاتل، أكد «إيجال أمير» أنه قام بهذا العمل وفقًا للهالاكاه (الشرع). وبالفعل عشية يوم كيبور قبل أسابيع من الاغتيال، تجمع اليهود المتشددون أمام منزل رابين ولبسوا لبسهم الذى يميزهم وأشعلوا شموعًا سوداء و عزفوا بآلة شوفار، ولعنوا رابين بسياط من نار، ورتلوا:

يجب أن نطلب من ملائكة التدمير أن يقتلوا إسحاق بن روزا المعروف برابين، لأنه يعطى أرض إسرائيل لأعدائنا، أبناء إسماعيل (چويش كرونيكل، ١٠ نوفمبر ١٩٩٥: ص٢٧).

ودعا الحاخامُ ساكس، كبير حاخامات بريطانيا، الحاخامات التقليديين أن يبحثوا هل هم يعلمون القيم اليهودية: «نزلت علينا التوراة ليس لنرضى نوازع الانتقام لدينا ولكن لننشر الخير والرحمة والسلام». وأكد قائلاً: «يتعين على الذين يعتنقون اعتقادات دينية أن يدافعوا عن العملية الديموقراطية بشكل قوى. ويجب أن نرفض باسم المبادئ اليهودية، وبشكل صارم، لغة الحقد والضغينة» (چويش كرونيكل، ١٠ نوفمبر ١٩٩٥ص ٥٦). هل استمد الحاخام ساكس أفكاره من فلسفة عصر التنوير، أكثر مما استمدها من هذا الشكل الخاص من اليهودية التقليدية التى تقرأ النص المقدس بشكل حرفى تمامًا؟ ليس ذلك بالأمر الواضح، وقد انتهت قضية أمير فى ٢٧ مارس ١٩٩٦ بعد ٥ شهور من الإجراءات. وفى الوقت الذى تم فيه إعلان ثبوت تهمته ومن ثم الحكم عليه، قال فى هدوء للمحكمة: «كل ما فعلته كان من أجل توراة إسرائيل،

(١) يتساءل روبرت كارول عن مدى تأثر مارك شاپمان قاتل چون لينون (المغنى السابق فى فريق البيتلز) بكتاب هولدن كولفيلد «بعض القراءة فى : The Catcher in the Rye» هل يمكن أن تساهم الكتب فى القتل؟ لا، إن القراء هم الذين يقومون بعملية القتل، فالكتب يمكن فقط أن توحى بفكرة القتل (١٩٩١ : ١١٥).

(*) بل شيعت الحكومة الإسرائيلية جنازة رسمية عسكرية مهيبة للشهيد جولد شتين، شفيع اليهود فى السماء، وأصبح قبره مزارًا دينيًا مقدسًا، يأتيه الحجاج اليهود من كل أنحاء العالم ـ المترجمة.

من أجل أرض إسرائيل. وبالنسبة لأى يهودى لا يمكن أن نسمح بأن نتنازل عن جزء من الأرض التى أعطاها الله لإسرائيل». وعندما سُئل عما إذا كان لديه شىء آخر ليقوله، صرح: «لم يكن أمامى إلا أن أقوم بهذا العمل على الرغم من أن هذه الجريمة غير مناسبة لطبيعة شخصيتى؛ وقمت بها لأن الضرر الذى يلحق بإسرائيل لا يمكن غفرانه. . . . . قمت بهذا الفعل وأقبل أن أدفع الثمن مهما كان» ـ (دريك براون جريدة ذى جارديان، ٢٨مارس ١٩٩٦). وفى عدة مرات، حاول القضاة أن يختصروا دفاعه عن نفسه الذى دام ٥ دقائق، والذى ختمه قائلاً «فليساعدكم الله».

ووفقًا لتفسيرات الكتاب المقدس، فإن «جولدشتين» و«أمير» يمثلان قمة الأصولية التى تبرر الاعتداءات على أنها أمر إلهى مزعوم. إن الطرح الدائم للتفسير الحرفى للتوراة، سواء كان فى المناهج التعليمية فى المدارس الإسرائيلية، أو من خلال التعليم الذى تقدمه العديد من مدارس الكتاب المقدس والتلمود، نادرًا ما يسمح بتفادى الهلع المرضى ضد الأجانب والأعمال الحربية.

وهناك العديد من الأمثلة الصارخة التى لا يمكن دحضها، خاصة فى الممارسات الإمبريالية والاستعمارية من قبل شعوب يقال إنها مسيحية، بصدد الاستعانة بالكتاب المقدس لتبرير سلوكها غير الإنسانى[1].

## قراءة الكتاب المقدس بعيون الكنعانيين

يبحث علماء لاهوت التحرير المعاصرون عن حجج فى الكتاب المقدس. ونجد العديد من المواضيع التى تدعم بشكل واضح فكرة التحرير ومفهومه (كالتحرير من القمع فى مصر، وفى بابل. . الخ). ولكن ألا تتطلب قراءة متناسقة للكتاب المقدس، أن يصبح الرب المحرر فى سفر الخروج، رب الظلم أثناء غزو أرض كنعان؟ وقد تم طرح المشكلة بشكل واضح من قبل هندى من أمريكا الشمالية، وذلك فى تعليقه: «بالنسبة لنا ـ السكان الأصليين لشمال أمريكا ـ هناك تشابه واضح مع الكنعانيين الذين كانوا يسكنون أرض الوعد. . أنا أقرأ قصة الخروج بعيون الكنعانيين» (واريور ١٩٩١ : ٢٨٩).

(١) إن كفاءتى المحدودة تملى على أن أترك لآخرين المهمة العاجلة لمناقشة أخلاقيات العمليات الوحشية التى تأتى كنتيجة للتفسير الحرفى للنصوص المقدسة للأديان الأخرى.

ليس هناك أرشيف مكتوب عن تجربة تلك الشعوب التى شُرّدت فى العصور القديمة. ولم نسمع أنين تلك الشعوب المطرودة وليس لدينا التقارير المستقلة عن كيفية تشتتهم. وبدراسة دور الكتاب المقدس واللاهوت فى مواصلة عمليات الاستعمار والإمبريالية، تتكشف أمثلة فى عدد كبير من المناطق وفى عصور مختلفة، وقد اخترت أن أركز على ثلاث مناطق فى العالم، وفى حقب زمنية مختلفة، حيث ساندت كل أيديولوچية استعمارية، أيديولوچية دينية مناسبة.

و لقد اخترت غزو أمريكا اللاتينية فى القرن الخامس عشر، وغزو الأفريقان[1] مستعمرة الكاپ فى جنوب أفريقيا عام ١٦٥٢، وعواقب ذلك الاحتلال فى القرنين التاسع عشر والعشرين، وأخيراً استيطان الصهاينة فى فلسطين خلال القرن العشرين. وأترك لآخرين مهمة تناول اختيارات أخرى.

وفى كل منطقة من المناطق المذكورة، استمر تأثير الظلم المؤسس. فعن الغزو الأوروپى لأمريكا اللاتينية، يستخلص أيبان واجوا وهو يتحدث عن الغزو الأوروپى لأمريكا اللاتينية: «حرقوا جذع الشجرة ومازالت الشجرة تحترق فى ألم» (١٩٩٠: ٤٨).

وأسفر قانون الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا عن أسوأ وأكبر شكل من اللامساواة فى العالم، حيث يعيش ثلثا السود تحت خط الفقر، فهناك ٩ ملايين معدم. وقد أدرك السود فى جنوب أفريقيا الدور الأساسى الذى لعبه الكتاب المقدس فى عملية استعمارهم وظلمهم واستغلالهم. ومن المتناقضات أن يدخلوا المسيحية ـ وهى ديانة مستعمرهم ـ ويعتنقوا نصوص الكتاب المقدس، وهو النص الأساسى لاستغلالهم. وعندما يلاحظون أن الكتاب المقدس يُستعمل للدفاع عن قضايا غير عادلة، يجدون أن الكتاب ذاته يثير مشكلة جادة بالنسبة لشعب يبحث عن حريته، ويعتبر العديد من الشباب السود من جنوب أفريقيا أن الكتاب المقدس هو بمثابة وثيقة تدعو للظلم بطبيعته، ويأملون فى إزاحته.

(١) الأفريقان هم الأوروپيون المستوطنون فى جنوب أفريقيا، وهو مصطلح لا يدل ـ بالطبع ـ على الأفارقة. ـ المترجمة.

وهناك العديد من التعليقات الدينية و اللاهوتية بشأن التطورات الحالية فى فلسطين، إلا أن عدداً قليلاً منها يبدى حساسية لما يعنيه إنشاء دولة إسرائيل اليهودية، من تمزيق الشعب الفلسطينى. لا تبدى المناقشة الكتابية و اللاهوتية حول هذه المنطقة اهتمامًا كبيراً بالمبادئ التى يطالب بها المدافعون عن حقوق الإنسان والمنظمات الإنسانية. ولا يُثير هذا الأمر فقط الاستغراب، ولكنه أيضًا ينذر بالخطر؛ لأن متخصصى الكتاب المقدس واللاهوت فى كل حلبة أخرى فى العالم يعلنون عن تعاطفهم مع المضطهدين! . إن ما يحتفل به يهود إسرائيل ويهود العالم الآخرون، وبعض المسيحيين على أنه تطبيق لنبوءة الكتاب المقدس فى إنشاء دولة إسرائيل، يسميه الفلسطينيون النكبة، والتى تضمنت طرد غالبية السكان. وأسفر تطبيق «الحق الذى وهبه الله للإسرائيليين» وتطبيق النبوءة الكتابية عن معاناة لكل منطقة الشرق الأوسط؛ لا سيما أثناء حروب ١٩٥٦و١٩٦٧ و١٩٧٣ و١٩٨٢ وخلال الاعتداءات العسكرية المتكررة على لبنان.

ولم يكن مفسرو الكتاب المقدس اليهود والمسيحيون مهتمين بمسألة الأرض إلا مؤخراً. ومن الصعب شرح هذا السكوت النسبى فى الماضى [ما يقرب من عشرين قرنًا!]، بيد أن أسباب الاهتمام الحالى بالأرض واضحة للغاية. إلا أننا إذا أخذنا فى الحسبان الاعتبارات الأخلاقية بشأن الأحداث المعاصرة فى فلسطين، نواجه فوراً مشكلة الدخول فى المحظور أكاديميّا؛ حيث استقرت فى الأذهان وجهة النظر القائلة بأن الكتاب المقدس يعطى الحق لإسرائيل بأن تُنشئ دولة جديدة ـ تبرر السياسة التى تمارسها منذ عام ١٩٤٨ ـ فى أذهان المسيحيين الصهاينة واليهود الصهاينة؛ وأيضًا تجد جذورها فى تيار فكرى تطور فى اللاهوت المسيحى والدراسات المتعلقة بالكتاب المقدس فى الجامعات؛ إذ نلاحظ أن أية محاولة لدراسة خطورة مثل هذه الأفكار تواجه معارضة فورية. ومن جهة أخرى، يوجد أدب دنيوى غزير حول إسرائيل والأراضى المحتلة؛ ولكن فى هذه الحالة ترتكز الحجج على القانون الدولى والمبادئ المختلفة لحقوق الإنسان، ليس هناك مكان للاعتبارات الدينية واللاهوتية. ونحن نتفهم ذلك، لأننا لا نستطيع أن نطلب من واضعى نظريات القانون الدولى وحقوق الإنسان أن يكونوا خبراء أيضًا فى الدراسات الخاصة بالكتاب المقدس و علم اللاهوت. ولكن إذا

كان كل الذين يدرسون الشرق الأوسط يقرون بأهمية ارتباط الدينى واللاهوتى بهذه المنطقة؛ تصبح مثل هذه الثغرة الأكاديمية غير مقبولة.

سأتكلم عن المظهر الدينى الذى نَشَّطَ الاستعمار الأوروبى وحركه فى أمريكا اللاتينية. وسأدرس إلى أى مدى أفاد النموذج الكتابى مصالح القومية الأفريقانية فى تطوير سياسته «التنمية المنفصلة». و أخيراً سأبحث عن بذور الحركة الدينية المتوطنة فى الفكرة الصهيونية و التى أصبحت أساسية بعد حرب ٦٧. وفى كل منطقة من المناطق، سأولى اهتمامًا خاصّا بالدور الذى لعبه التفسير اللاهوتى والكتابى فى دعم التحولات الاجتماعية والسياسية.

ويتعين على العديد من علماء اللاهوت الحريصين على حقوق الإنسان، خاصة بالنسبة للذين يعتبرون الكتاب المقدس مرجعًا هامّا، أن يجتازوا مأزق هذه القضية. وعلى الرغم من الاحترام الكبير الذى يكنونه للنص المقدس، يلاحظون إلى أية درجة تم استعماله كأداة قمع للشعوب. هم يلجأون لفكرة أن المشكلة تكمن فى الانحراف فى تفسير الكتاب المقدس وليس فى النص ذاته. وبالتالى يخفى هذا الحل المغلوط المشكلة الحقيقية؛ فأمثلة الماضى والحاضر تثبت المشكلة الأخلاقية الخطيرة للمسألة، ومداها واستمرارها. تخص الأمثلة التى سأتطرق إليها فترات مختلفة من التاريخ، وفى مناطق مختلفة، وفقًا للتراثات المتنوعة لتفاسير الكتاب المقدس؛ وتلقى الضوء على بعض المشاكل الأخلاقية فى صلب الكتاب المقدس. وسنرى أن العديد من التقاليد المذكورة فى الكتاب المقدس، تسمح بتفسيرات وتطبيقات قامعة، بسبب طبيعتها القمعية.

***